جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي–
معهد العلوم الإسلامية
قسم أصول الدين

&

منهج الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في الدعوة إلى الله من خلال مقالاته في جريدة البصائر

– دراسة تحليلية –

مذكرة تخرّج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر في العلوم الإسلامية – تخصص: دعوة وإعلام واتصال

من إعداد الطالبة: **إشراف الدكتور:**

خديجة لعمارة **رشيد خضير**

نوقشت وأجيزت علنا أمام اللجنة المكونة من:

أ/ الأدغم الطاهر	أستاذ مساعد أ	رئيسا	جامعة الوادي
د/ رشيد خضير	أستاذ محاضر أ	مشرفا ومقررا	جامعة الوادي
أ/ بوساحة بشير	أستاذ مساعد أ	مناقشا	جامعة الوادي

السنة الجامعية: 1437- 1438هـ/ 2016- 2017 م

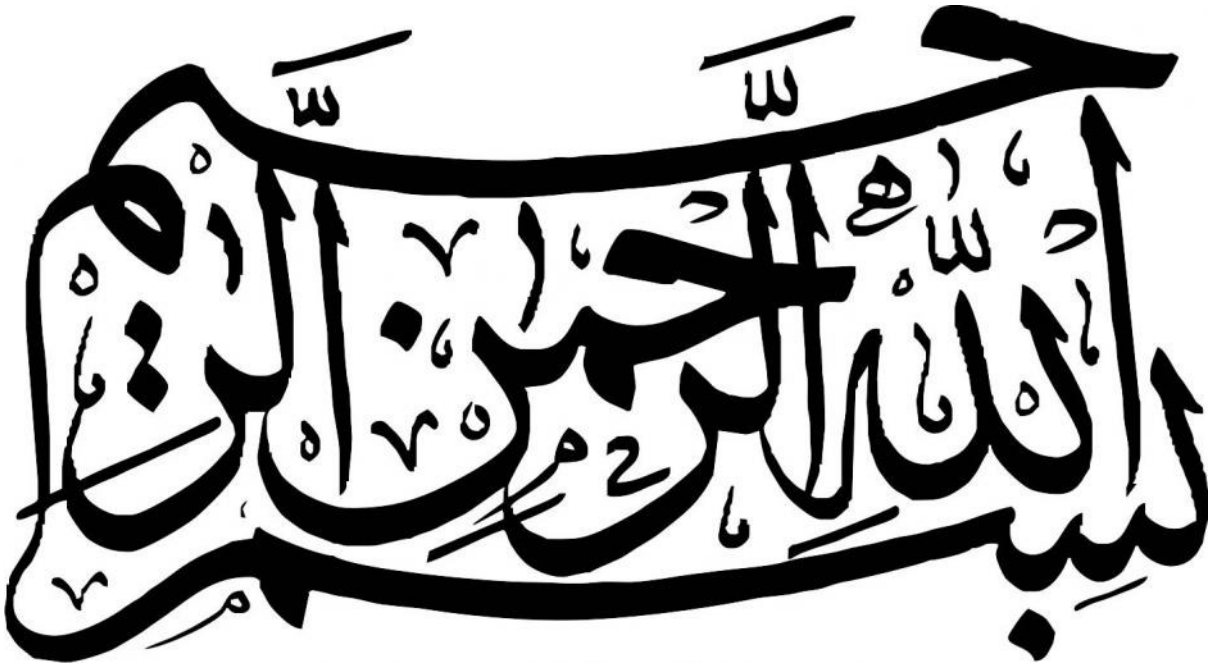
بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــــــداء

إلى أبي وأمي.....حفظهما الله وأطال في عمرهما

إلى زوجي..... حبا وتقديرا

إلى أبنائي إياد وسراج..... حفظهما الله

إلى إخوتي وأخواتي

إلى كافة الأهل والعائلة

أهدي هذا العمـــل

شكر و تقدير

أولا وقبل كل شيء أحمد الله سبحانه وتعالى على توفيقه لنا من أجل إتمام هذا العمل والوصول إلى هذه المرتبة من العلم والنجاح.

أتقدم بالشكر الجزيل للدكتور رشيد خضير الذي لم يبخل علي بالنصائح والتوجيهات سواء في مرحلة الدراسة أو التأطير، فقد كان مثالا في التعامل وقدوة في العمل، فله منا كل الشكر والتقدير.

وأتوجه بالشكر المسبق إلى أعضاء لجنة المناقشة الموقرة الذين سيبذلون جهدا في قراءة هذه المذكرة من أجل تقييمها وتثمينها.

كما أتقدم بالشكر والعرفان لكل من ساعدني من قريب أو بعيد لإتمام هذا البحث.

لعمارة خديجة

الملخـــص:

تناولت هذه الدراسة موضوع منهج الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في الدعوة إلى الله من خلال مقالاته في جريدة البصائر، وقد هدفت هذه الدراسة إلى التعريف بعلم من أعلام الجزائر، ألا وهو الشيخ الإبراهيمي وبيان منهجه في الدعوة إلى الله وذلك من خلال مقالاته في جريدة البصائر معتمدة في ذلك على المنهج التاريخي، والمنهج الوصفي التحليلي. وقد توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج أهمها:

1- يمثل الشيخ الإبراهيمي بإنتاجه الفكري والثقافي المتنوع والشامل، وبعمله الدعوي المنظم والمستمر، وبجهوده الإصلاحية في مختلف الميادين مدرسة كاملة، وتجربة غنية وفذة.

2- أن معالم الفكر التربوي عند الإبراهيمي تمتاز بالنظرة الثاقبة والشمولية، إذ يعتبر فكره نموذجا تربويا مميزا، إذ لم يكن الشيخ مصلحا ومرشدا فحسب بل كان مفكرا ومنظرا في مجال التربية والتعليم حيث سعى إلى وضع خطة تربوية متدرجة، محسوبة ومستوفية العناصر شملت المعلم والمتعلم والمنهج أو الطريقة والمدرسة.

3- تتمثل فلسفة الإصلاح عند الإبراهيمي في محورين كبيرين هما الإصلاح الديني وذلك من خلال إرجاع المسلمين إلى كتـــاب ربهم وسنـــة نبيهـــم وربطهـــم بسلفهم الصـــالح، والإصلاح الاجتماعي وذلك من خلال عرضه للمشاكل الاجتماعية التي تمس الحياة اليومية مسا مباشرا، وتشخيص العلاج لها. وهو يرى أنه هناك تلازم ضروري بينهما لتحقيق النهوض بالبلاد ثقافيا واجتماعيا.

ومن أهم ما توصي به هذه الدراسة ما يلي:

1- ضرورة الاستفادة من الفكر التربوي للشيخ الإبراهيمي في إقامة منهاج تربوي جديد.

2- أن يختار رجال التربية من كتابات الشيخ الإبراهيمي نصوصا تدرس في جميع مراحل التعليم من الابتدائي إلى الثانوي إلى العالي.

3- أن يوجه طلبة العلم إلى القيام برسائل متخصصة في كل ناحية من نواحي نبوغه العام.

الكلمات المفتاحيـــة: الدعوة، محمد البشير الإبراهيمي، الإصلاح، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الحركة الإصلاحية، جريدة البصائر.

Abstract:

This study dealt with the subject of the approach of Sheikh Mohammed Al-Bashir Al-Ibrahimi in the call to God through his articles in Al-Busayer newspaper. This study aimed to introduce a scholar of the Algerian scholars, namely Sheikh Brahimi and his method of calling to God through his articles in Al-Bassair in which it relied on the historical approach, and descriptive analytical approach. The study reached a number of results, the most important of which are:

1- Sheikh Brahimi represents with his diverse intellectual and cultural production, his systematic and continuous work, his reform efforts in various fields, a complete school and a rich and unique experience.
2 - The features of educational thought at Brahimi have a strong insight and comprehensiveness, as his thought is considered as a distinctive educational model, as the Sheikh was not only a reformer and mentor, but was a thinker and perspective in the field of education, where he sought to develop a gradual educational plan, calculated and satisfied elements included the teacher and the learner and the curriculum or the method and the school.
3. The philosophy of reform in Brahimi is two major axes: religious reform through the return of Muslims to the book of their Lord and the Sunnah of their Prophet, and linking them to their good predecessors and social reform by presenting social problems affecting daily life directly and diagnosing treatment for it. He believes that there is a necessary correlation between them to achieve the cultural and social advancement of the country.
The most important recommendations of this study are:

1 - the need to benefit from the educational thought of Sheikh Brahimi in the establishment of a new educational curriculum.
2 - Men of education should choose from the writings of Sheikh Brahimi texts to be taught at all stages of education from primary to secondary to higher education.
3 - to direct knowledge students to carry out specialized messages in every aspect of his general prophecy.

Key words: Al-Daawa, Muhammad al-Bashir al-Ibrahimi, Islah, Association of Algerian Muslim Scholars, Reform Movement, Al-Busayer Newspaper.

فهـــرس المحتويـــــات

المحتويات:

المحتويات	الصفحة
الإهداء	
شكر وتقدير	
ملخص الدراسة	
الفهرس	
المقدمة	أ–ب
الفصل الأول: الإطار المنهجي للدراسة	
إشكالية الدراسة	02
أهمية الدراسة	03
أهداف الدراسة	03
أسباب اختيار الموضوع	04
منهج الدراسة	04
تحديد مفاهيم الدراسة	05
الدراسات السابقة	08
حدود الدراسة	12
صعوبات الدراسة	12
الفصل الثاني: الدور الدعوي للحركة الإصلاحية في الجزائر	
تمهيد	14
المبحث الأول: نشأة الحركة الإصلاحية وظروفها	15
المطلب الأول: مفهوم الإصلاح	15
المطلب الثاني: نشأة الحركة الإصلاحية	16
المطلب الثالث: أهداف الحركة الإصلاحية	18
المبحث الثاني: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين	19
المطلب الأول: نشأتها وظروفها	19
المطلب الثاني: مبادئ وأهداف الجمعية	23
المطلب الثالث: وسائل الجمعية ونتائج أعمالها	26

المبحث الثالث: الصحافة الإصلاحية ودورها الدعوي	32
المطلب الأول: الصحافة الإصلاحية في الجزائر	32
المطلب الثاني: الدور الدعوي للصحافة الإصلاحية	44
الفصل الثالث: الدعوة عند الشيخ البشير الإبراهيمي	
تمهيد	52
المبحث الأول: التعريف بالشيخ الإبراهيمي	53
المطلب الأول: المولد والنشأة	53
المطلب الثاني: حياته العلمية والعملية	54
المبحث الثاني: الفكر التربوي عند الشيخ الإبراهيمي	59
المطلب الأول: التربية عند الإبراهيمي	59
المطلب الثاني: غايات التربية عند الإبراهيمي	60
المطلب الثالث: المقومات الأساسية للعملية التربوية عند الإبراهيمي	61
المبحث الثالث: فلسفة الإصلاح عند الشيخ الإبراهيمي	68
المطلب الأول: الإصلاح الديني	68
المطلب الثاني: الإصلاح الاجتماعي	70
المبحث الرابع: المواقف السياسية عند الشيخ الإبراهيمي	75
المطلب الأول: موقفه من الاستعمار	75
المطلب الثاني: أحداث 8 ماي	76
المطلب الثالث: القضية الفلسطينية	77
الخاتمة	81
قائمة المراجع	84

المـــقدمـــــــة

الحمد لله رب العالمين، الذي جعل ديننا الإسلام دين العلم والعمل معا، ومدح في كتابه العزيز الدعاة والمصلحـــين، وجعـــل من هديه نبراسا يضيء طريق دعواتهم قائـــلا:" **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**"[1]، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، حامل الرسالة، ومبلغ الأمانة، وعلى آله وصحبه وسلم. أما بعد:

جعل الله الأمة الإسلامية الأمة الوحيدة الوارثة لرسالة الدعوة أسند لها مهمة إرشاد الخلق إلى طريق الهداية، وحثهم على الإتيان بالمعروف والانتهاء عن المنكر، وفق منهج إلهي قويم تصلح به الحياة والنفس البشرية. فالمسلمون الأولون الذين تولى الهادي محمد صلى الله عليه وسلم تربيتهم وتوجيههم وإعدادهم للاضطلاع بمهمة الإسلام العظمى، كانوا الأسوة الحسنة للعمل بالإسلام والدعوة إليه.

وتتابعت من بعدهم أجيال الدعاة، جيلا بعد جيل حتى يومنا هذا، يحملون بشائر الدعوة وأساليب النجاة، ينشرونها في كل مكان انطلاقا من أرض الحجاز وصولا إلى الشام وآسيا والمغرب العربي وأطراف أوربا، من هذا النَفح، وفي أحلك حلقات تاريخ الجزائر ظهرت المدرسة الباديسية متمثلة في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، تزف درر النور وتغيث نباتا أحيا به الله غرسا كانت ثماره ثورة التحرير الكبرى متخذة من المساجد والمدارس والصحافة والنوادي وسيلة لها.

وكان محمد البشير الإبراهيمي أحد مؤسسي هذه المدرسة، ونائبا لرئيسها، ثم رئيسا لها بعد وفاة ابن باديس، كرس حياته للدفاع عن الجزائر وطنا وهوية، مسخرا قلمه للذود عن دينها، ولغتها العربية، إن الحديث عن الإبراهيمي هو حديث عن الجزائر أصالة وحضارة وصمودا ونهضة وتحررا، فقد جسد الجزائر في شخصيته: نشأة وتكوينا وإشعاعا وقولا وكتابة وسلوكا. لذا جاءت هذه الدراسة للتعرف على منهج الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في الدعوة إلى الله وذلك من خلال مقالاته في جريدة البصائر.

وقد تهيكلت الدراسة إلى مقدمة وثلاثة فصول تناول الفصل الأول الإطار المنهجي حيث تضمن ما يلي: إشكالية الدراسة، تساؤلاتها، أهمية الدراسة، أهداف الدراسة، أسباب اختيار الموضوع، حدود الدراسة، منهج الدراسة، ثم تحديد المفاهيم، وبعدها عرض الدراسات السابقة. وأخيرا صعوبات الدراسة. أما الفصل الثاني فجاء بعنوان الدور الدعوي للحركة الإصلاحية في الجزائر ضم ثلاثة مباحث، تطرقنا في المبحث الأول إلى نشأة الحركة الإصلاحية وظروفها، أما المبحث الثاني

[1]- سورة السجدة، آية 24.

تعرفنا على جمعية العلماء المسلمين الجزائريين . أما المبحث الثالث فكان الحديث فيه عن الدور الدعوي للصحافة الإصلاحية. وجاء الفصل الثالث بعنوان الدعوة عند الشيخ محمد البشير الإبراهيمي والذي ضم أربعة مباحث تطرقنا في المبحث الأول للتعريف بالشيخ محمد البشير الإبراهيمي، وفي الثاني تناولنا الفكر التربوي عند الشيخ محمد البشير الإبراهيمي أما الثالث فناقش فلسفة الإصلاح عند الشيخ الإبراهيمي، وخصص الرابع للحديث عن مواقف الإبراهيمي السياسية.

وقد ختمت هذه الدراسة بخاتمة استخلصت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث،كما تم صياغة جملة من التوصيات. فما كان من توفيق فمن الله، وما كان من خطأ فمن نفسي والشيطان، والله المستعان وعليه التكلان.

الفصـــل الأول:

الإطـــــار المنهجـــــــي

للدراســـة

أولا– إشكالية الدراســـة:

إن الدعوة إلى الله – عز وجل – من أفضل الأعمال، وأقرب القربات، وأوجب الواجبات بعث الله – تعالى – صفوة خلقه من الأنبياء والرسل – عليهم الصلاة والسلام – للقيام بها، ووعد القائمين بها أجرا عظيما وثوابا جزيلا في الدنيا والآخرة، ولقد كان هؤلاء وهم خيار عِباد الله – تعالى – يهتمون بالدعوة أبلغ الاهتمام، ويحرصون على إخراج الناس من الظلمات إلى النور أشد الحرص، وهكذا حال من سلك دربهم من صالحي الأمة ومصلحيها.

ويعد محمد البشير الإبراهيمي واحدا من الدعاة المصلحين، وحلقة من حلقات الجهاد الطويل في الجزائر ضد الاستعمار الفرنسي، وأحد الذين شكلوا وعي ووجدان الأمة العربية والإسلامية على امتداد أقطارها؛ حيث كان أحد رواد الحركة الإصلاحية في الجزائر، وأحد مؤسسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وكان زميلا للشيخ عبد الحميد بن باديس في قيادة الحركة الإصلاحية، ونائبه في رئاسة جمعية العلماء، ورفيق نضاله لتحرير عقل المسلم من الخرافات والبدع، استخدم سلاح الكلمة للذود عن مقومات الشخصية العربية الإسلامية، وفي جهاده ضد الاستعمار الفرنسي فجاءت مقالاته في جريدة البصائر لتحوي عصارة فكره وتبرز ملامح منهجه في الدعوة والإصلاح.

لهذا قام هذا البحث أساسا على دراسة منهج الشيخ الإبراهيمي في الدعوة إلى الله من خلال مقالاته في جريدة البصائر، انطلاقا من آرائه وأفكاره الدينية والاجتماعية والسياسية، والتي حوتها مقالاته، مع إبراز دوره الكبير في عملية الدعوة والإصلاح بنشر العقيدة الإسلامية الصحيحة وإصلاح المعتقدات الفاسدة، وتعليم اللغة العربية ومحاولة المشاركة في تغيير بعض الأوضاع التي عرفتها الجزائر في تلك الفترة الحالكة.

ومن هذا المنطلق تتمثل إشكالية الدراسة في الآتي:

ما هو منهج الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في الدعوة إلى الله من خلال مقالاته في جريدة البصائر؟

وتندرج تحت هذا السؤال الأسئلة الفرعية التالية:

1- ما هو الدور الدعوي للحركة الإصلاحية في الجزائر؟

2- ما هو الدور الدعوي الذي قامت به الصحافة الإصلاحية في الجزائر؟

3- ما طبيعة الدور الدعوي للشيخ البشير الإبراهيمي ؟

4- فيما تتمثل معالم الفكر التربوي عند الإبراهيمي؟

5- فيما تتمثل فلسفة الإصلاح عند الإبراهيمي؟

6- ما هي أبرز مواقفه السياسية؟

ثانيا– أهمية الدراســـة:

تكمن أهمية الدراسة في النقاط التالية:

1- أهمية الشخصية موضع الدراسة، ألا وهو الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، علامة المغرب العربي وأحد أئمة النهضة العلمية في العالم الإسلامي، وأبرز رواد الإصلاح في الجزائر وهو من الأفذاذ المعدودين يعز أن يوجد له نظير في العلم والعمل، الشيء الذي يستدعي دراسة هذه الشخصية من مختلف جوانبها.

2- أهمية جريدة البصائر، إذ هي أبرز جرائد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومن أكبر الصحف العربية الجزائرية شهرة وانتشارا، ومن أعظمها أهمية لما تركته من أثر عميق في مجرى الحياة الوطنية من جميع نواحيها.

3- كون هذه الدراسة تعالج الإنتاج الفكري لأحد أعلام الدعوة في الجزائر، والذي يمثل خلاصة التجارب والخبرات التي يستوجب منا الوقوف عنده طويلا بالتمعن والتحليل، والاستنبـــاط والاستنتاج، وذلك من أجل السير بالدعوة إلى الله نحو أهدافها وغاياتها المنشودة.

ثالثا– أهداف الدراســـة:

تهدف هذه الدراسة إلى:

1- التعريف بعلم من أعلام الجزائر.

2- بيان منهج الشيخ الإبراهيمي في الدعوة إلى الله.

3- التعرف على الدور الدعوي للحركة الإصلاحية في الجزائر.

4- إبراز الدور الدعوي للصحافة الإصلاحية.

5- التعرف على معالم الفكر التربوي عند الشيخ الإبراهيمي.

6- محاولة معرفة فلسفة الإصلاح عند الشيخ الإبراهيمي.

7- الوقوف على أبرز مواقف الشيخ الإبراهيمي السياسية.

رابعا– أسباب اختيار الموضوع:

إن عملية اختيار أي بحث تتم لأسباب ذاتية وأخرى موضوعية، وتتمثل الأسباب الذاتية لهذا البحث في:

1- رغبتي الكبيرة في محاولة كتابة حلقة من حلقات التعريف بأعلام الوطن وما قدمه من انجازات عظيمة والتي لها أثرها حتى اليوم.

2- إحساسي بوجود تباعد بين جيل الإبراهيمي وابن باديس، وهذا الجيل، مما أدى إلى تجاهلهم أو نسيانهم إعلاميا وأكاديميا ودعويا، فأردت أن يكون هذا البحث جسرا يتحقق معه التواصل الفاعل بين هذا الجيل و ذلك الرعيل وإرثه المتنوع والغني.

أما الأسباب الموضوعية تتمثل في:

3- إن البحث في الشخصيات الدعوية وفي أي جانب من جوانبها يجلي تجاربها ويضعها على بساط البحث مما يمكن من إثراء الرؤى الفكرية والمنهجية وتنميتها، والتي يحتاج إليها حاملوا لواء الدعوة في كل آن فهذا النوع من البحوث، يجعل مساحة الدعوة الفكرية غنية، كما يقدم لها المزيد من الترشيد والفعالية عبر مرحلتي المراجعة الايجابية والاستلهام الهادف.

خامسا– منهج الدراســـة:

تماشيا مع طبيعة هذه الدراسة، ومن أجل الإحاطة بمختلف جوانب الموضوع، والإجابة على الإشكالية المطروحة، فقد اعتمدت هذه الدراسة على:

1- المنهج التاريخي: ويعرف بأنه "المنهج الذي يعتمد على دراسة الماضي من خلال آثاره المختلفة ومن ثم تحديد المشكلة موضوع البحث مع وضع الفروض لها مع تحليل البيانات والمعلومات المتعلقة بها، ثم يقوم باختبار الفروض المختلفة حتى تتضح مجالات الاتفاق والاختلاف بينها مع الأدلة التاريخية التي حصل عليها، مع عرض النتائج للنقد والتحليل للتعرف على مصداقيتها ودقتها."[1] وتم اعتماده عند استعراض مراحل حياة الشيخ الإبراهيمي وكذا عند استعراض التطور التاريخي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وأثناء الحديث عن الصحافة الإصلاحية في الجزائر.

2- المنهج الوصفي التحليلي: يعتمد المنهج الوصفي على تحديد أبعاد المشكلة موضوع البحث من خلال جمع البيانات المختلفة عن الموضوع، حيث يقوم الباحث بوصف خصائص المشكلة والعوامل

[1]– الكمالي عبد الله، ***كتابة البحث وتحقيق المخطوطة خطوة..خطوة***، ط1، دار ابن جزم، بيروت، 2001، ص:21.

المؤثرة فيها، والظروف المتعلقة بها، مع دراسة مدى علاقتها بالمشكلة من خلال التفسير والمقارنة والقياس والتحليل المتعمق[1]، ويعرف المنهج التحليلي بأنه" المنهج الذي يقوم على دراسة الإشكالات العلمية المختلفة، تفكيكا، أو تركيبا، أو تقويما"[2] وتم اعتماد هذا المنهج قصد الإلمام بمختلف جوانب الموضوع وفهم كل مكوناته وتحليل أبعاده النظرية، كما تم اعتماده عند تحليل مقالات الشيخ الإبراهيمي في جريدة البصائر، واستنباط أهم معالم منهجه الفكري والدعوي.

سادسا– تحديد مفاهيم الدراســـة:

1- مفهوم الدعوة:

أ- لغـــة: الطلب، يقال: دعا بالشيء دعوا ودعوة وَدُعَاء وَدَعوى طلب إحضاره يقال دَعَا بالكتاب والشيء إلى كذا احتاج إليه ويقال دعت ثيابه أخلقت واحتاج إلى أن يلبس غيرها والطيب أنفه وجد ريحه فطلبه وفلانا صاح بِه وناداه ويقال دَعَا الميت ندبه وفلانا استعان به ورغب إليه وابتهل ويقال دَعَا الله رجا منه الخير ولفلان طلب الخير له ودعا على فلان طلب له الشر وبزيد وزيدا سماه بِه ولفلان نسبه إليه وإلى الشيء حثه على قصده يقال دَعَاهُ إلى القتال وَدعَاهُ إلى الصلاة وَدعَاهُ إلى الدّين وإلى المذهب حثه على اعتقاده وساقه إليه يقال دعاه إلى الأمير ويقال ما دَعَاهُ إلى أن يفعل كذا ما اضطره ودفعه والقوم دُعَاء ودعوة ومدعاة طلبهمْ ليأكلوا عنده[3]

ويمكن أن نستخلص معاني الدعوة في اللغة وهي الطلب والحث على الشيء، والسوق إليه والنداء ..

ب- اصطلاحا: يذكر البانيوني عدة تعريفات منها تعريف الشيخ محمد الراوي فقال:" هي الضوابط الكاملة للسلوك الإنساني وتقرير الحقوق والواجبات".كما عرفها الشيخ محمد الخضر حسين بأنها" حث الناس على الخير والهدى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل". كما عرفها أيضا الدكتور أحمد غلوش فقال عنها:" العلم الذي تعرف به كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام مما حوى عقيدة وشريعة وأخلاق.." [4]

---

[1]– الكمالي عبد الله، مرجع سابق، ص:23.

[2]– الأنصاري فريد، ***أبجديات البحث في العلوم الشرعية***، ط1، دار الكلمة، مصر، 2002، ص:97.

[3]– مجمع اللغة العربية إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات وآخرون، ***المعجم الوسيط***، دار الدعوة، القاهرة، المجلد الأول، ص: 286.

[4]– البيانوني محمد أبو الفتح، ***المدخل إلى علم الدعوة***، ط4، دار الرسالة العالمية، سوريا، 2010م، ص: 14.

أما الشيخ محمد الغزالي فقال أنها" برنامج كامل يضم في أطوائه جميع المعارف التي يحتاج إليها الناس، ليبصروا الغاية من محياهم، وليستكشفوا معالم الطريق التي تجمعهم راشدين" ممن عرفه أيضا الشيخ آدم عبد الله الألوري فقال عنها:" صرف أنظار الناس وعقولهم إلى عقيدة تفيدهم، أو مصلحة تنفعهم، وهي أيضا ندبة لإنقاذ الناس من ضلالة كادوا يقعون فيها، أو من معصية كادت تحدق بهم" وعرفها الدكتور محمد أبو الفتح البيانوني بأنها: "تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة"[1].

اختلفت تعريفات الدعوة وتعددت لدى الكتاب والباحثين تبعا لاختلافاتهم في تحديد معنى الدعوة من جهة، وتفاوت نظرتهم إليها من جهة أخرى، فنجد أن كلمة الدعوة من الألفاظ المشتركة التي تطلق على الإسلام وعلى عملية نشره بين الناس، وسياق إيرادها هو الذي يحدد المعنى المراد، فهناك من نظر إلى الدعوة على أنها تبليغ وبيان لما جاء به الإسلام فحسب ،وهناك من نظر إليها على أنها علم وتعليم، وجردها عن الجانب التطبيقي والتنفيذي.... إلى غير ذلك من النظرات.

2- مفهوم المنهج:

أ- لغـــة: جاء في لسان العرب: "نهج" طريق نهج، بين واضح، وهو النهج والجمع نهجات، ونهج ونهوج، وسبيل منهج، كنهج ومنهج الطريق وضحه، والمنهاج الطريق الواضح.

والمنهاج كمنهج، وفي التنزيل" **لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا**"[2]. وأنهج الطريق وضح وصار نهجا واضحا بين واستبان.

والمنهاج الطريق الواضح، ونهجت الطريق أي ابنته وأوضحته، يقال: اعمل على نهجته لك، ونهجت الطريق سلكته، وفلان يستنهج طريق فلان، أي يسلك مسلكه، والنهج الطريق المستقيم. وبالتالي يكون المنهج أو المنهاج في قواميس اللغة يعني الطريق الواضح، ونهج الطريق أبانه وأوضحه وصار نهجا واضحا بينا، وهو السنة أو السبيل التي تشمل على الإنسان السير نحو غايته، دون زيغ أو انحراف، والمنهاج: السبيل إلى المقاصد الصحيحة[3].

---

[1]- البيانوني محمد أبو الفتح، مرجع سابق، ص: 14.

[2]- سورة المائدة، آية 48.

[3]- ابن منظور، ***لسان العرب***، دار صادر، بيروت، ج6، ص:4554.

وبناءا على التحقيق اللغوي لكلمة المنهج يمكن تعريفه بأنه:

مجموعة الطرق الواضحة والخطط المرسومة التي يسلكها الدعاة في تبليغهم رسالة الله تعالى إلى الناس.

ب- اصطلاحا: هو الخطة أو التخطيط لإعداد شيء ما أساسه التفكير، سواء كان هذا الشيء ماديا أو معنويا لذا نستطيع القول: إنه علم التفكير أو طريق كسب المعرفة، والشريعة الإسلامية أساسها منهج رباني واحد، عمدته القران الكريم وسنة الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – قولا وفعلا وتقريرا، واحد، عمدته القران الكريم وسنة الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – قولا وفعلا وتقريرا، ولابد أن نوضح منذ البداية أن المنهج الإسلامي واحد مهما اختلفت أراء علماء الأمة لأن كلمة التوحيد وحدت خطاهم، وتشريع القرءان حدد طريقته، لذا فإن ما يلاحظ في القرءان الكريم من مفردات لغوية أخرى مثل السبيل، الصراط، ولكنها تدل على معنى واحد وهو الطريق.

فالمنهج إذا في الاصطلاح كما تدل عليه مصادر التشريع هو: الطريق الذلول الموصل إلى رضى الله. المنهج هو جملة الخطوات المرسومة أو العمليات المنظمة التي يتطلبها الواقع الإنساني وفق أبعاد فكرية معينة[1].

3- مفهوم المقـــــال:

أ- لغـــة: اشتقت كلمة مقال من الفعل الثلاثي المعتل الوسط "قول" الذي تقلب واوه ألفا أي "قال" جاء في لسان العرب:" قول: قال يقول قولاً وقالاً وقيلاً وقولةً ومقالاً ومقالةً: تلفظَ أي تكلمَ...المقالة: القول أي القطعة من الكتاب"[2].

ب- اصطلاحا: لقد تباين مفهوم المقال بين النقاد نظرا لتشعبه وتداخله بنسب كبيرة متفاوتة شكلا ومضمونا مع الفنون النثرية الأخرى كالخطابة والمقامة والرسالة والخاطرة والقصة، مع انفراده بخصائصه المميزة، ومن أجل إعطاء مقاربة تلم بمفهوم المقال، سنعرض بعضا من التعريفات:

- نزوة عقلية لا ينبغي أن يكون لها ضابط من نظام فهي قطعة لا تجري على نسق معلوم ولا يتم هضمها في نفس كاتبها.

- قطعة إنشائية ذات طول معتدل تدور حول موضوع معين، أو حول جزء منه.

---

[1]- حاج أحمد نور الدين، ***المنهج الدعوي للإمام المغيلي من خلال الرسائل التي بعثها للملوك والأمراء والعلماء***، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة باتنة، 2010-2011م ص:9.

[2]- ابن منظور، مرجع سابق، ج11، ص:572.

- قطعة إنشائية ذات طول معتدل تكتب نثرا، وتلم بالمظاهر الخارجية للموضوع بطريقة سهلة سريعة ولا تعنى إلا بالناحية التي تمس الكاتب عن قرب.

- فكرة قبل كل شيء وموضوع، فكرة واعية وموضوع معين يحتوي قضية يراد بحثها، قضية تجمع عناصرها وترتب، بحيث تؤدي إلى نتيجة معينة وغاية مرسومة من أول الأمر[1].

- أما محمد يوسف نجم فقد حاول إعطاء تعريف جامع للمقال فاعتبره" قطعة نثرية محدودة في الطول والموضوع، تكتب بطريقة عفوية سريعة خالية من الكلفة والرهق، وشرطها الأول أن تكون تعبيرا صادقا عن شخصية الكاتب"[2]

إن تعدد المفاهيم يسهم في إثراء هذا الفن، الذي يجمع هؤلاء النقاد على دوره الرائد في إيقاظ وعي الجماهير في شتى المجالات وتثقيفهم ومن ثم التأثير في رأيهم.

4- جريدة البصائر:تعتبر الصحيفة الرابعة التي أصدرتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، بعد تعطيل كل من جريدة السنة وجريدة الشريعة وجريدة الصراط على التوالي، وهي من أهم صحف هذه الجمعية، ومن أكبر الصحف العربية الجزائرية شهرة وانتشارا ومن أعظمها أهمية لما تركته من أثر عميق في مجرى الحياة الوطنية من جميع نواحيها، ويمكن الإشارة إلى أن البصائر ظهرت على مرتين: السلسلة الأولى صدرت ما بين **1935- 1939**، والسلسة الثانية ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية ما بين **1947- 1956**[3].

سابعا– الدراسات السابقـــــة:

1- الدراسة الأولى للباحث شريف عبد الغفور بعنوان: "**موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من الثورة التحريرية من خلال جريدة البصائر1954– 1956م**"[4]

---

[1]– بالولي أحلام، ***بلاغة اللغة في أدب المقال الإصلاحي عند محمد البشير الإبراهيمي– عيون البصائر نموذجا–***، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة البويرة، 2013- 2014م ص:23.

[2]– نجم محمد يوسف، ***فن المقالـــة***، ط1، دار صادر، بيروت، 1996م، ج1، ص:76.

[3]– أنظر الفصل الأول المبحث الثالث: الصحافة الإصلاحية في الجزائر، ص: 29.

[4]– شريف عبد الغفور، ***موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من الثورة التحريرية من خلال جريدة البصائر1954-1956م***، رسالة ماجستير، علوم الإعلام والاتصال، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر3، 2010-2011م.

و تندرج الدراسة ضمن البحوث الوصفية التحليلية، التاريخية واعتمدت هذه الدراسة على أسلوب تحليل المضمون كأداة رئيسة لجمع البيانات و الإجابة على أكبر قدر ممكن من التساؤلات المطروحة.

وقد هدفت الدراسة إلى محاولة الكشف عن الموقف الحقيقي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين اتجاه الثورة التحريرية من خلال تحليل المحتوى الإعلامي لجريدة البصائر.

نتائج هذه الدراسة نذكر منها:

أ- أن التغطية الإعلامية التي خصصتها الجمعية للثورة على صفحات جريدة البصائر، دليل على اهتمامها العميق بالحدث كمتغير جديد أولته اهتمامًا كبيرا .

ب- يمكن أن نلمس الطريقة الذكية حتى لا نقول الاحترافية التي تعاملت بها مع الأحداث والتطورات الميدانية، و ذلك بالاعتماد على مختلف الأنواع التحريرية.

ج- واكبت جريدة البصائر الأحداث بكل أبعادها لضمان تغطيتها بشكل كامل ومستمر و نقل صداها إعلاميا على المستويين الداخلي و الخارجي.

د- تفاعل وتعاطف محرري جريدة البصائر مع إنجازات الثوار في ساحات القتال و مع انتصارات دبلوماسية الثورة الجزائرية التي حققتها دوليا.

2- الدراسة الثانية للباحثة شفري شهرة بعنوان: "**الخطاب الدعوي عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين دراسة مقارنة بين عبد الحميد ابن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي**"[1]

هدفت الدراسة إلى كشف أوجه الاتفاق والاختلاف بين الشخصيتين في الحقل الدعوي خاصة وأنهم ينضويان تحت جمعية واحدة لها مبادئ وأهداف واحدة. واعتمدت الباحثة على عدة مناهج هي: منهج المسح الوصفي؛ وصف للأعمال والجهود التي قام بها كل من ابن باديس والإبراهيمي مع إدراج الملابسات والأسباب والدوافع التي ساعدتهما في ذلك. والمنهج المقارن؛ لاستخراج أوجه الاتفاق وأوجه الاختلاف الموجودة في خطاب الشيخان. والمنهج التاريخي للاستئناس به.

وخلصت الدراسة إلى عدة النتائج منها:

[1] – شفري شهرة ، ***"الخطاب الدعوي عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين دراسة مقارنة بين عبد الحميد ابن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي"***، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة باتنة. 2008- 2009م.

أ- أن من معاني الدعوة الدين والإسلام، وبالتالي فالخطاب الدعوي هو مرادف للخطاب الديني ومرادف للخطاب الإسلامي.

ب- أن جمعية العلماء؛ دعوة سلفية لأنها دعت المجتمع الجزائري إلى العودة إلى كتاب الله وسنة وسيرة السلف الصالح. وفكرة اجتماعية؛ لأنها عنيت بأمراض المجتمع من جهل وانحراف أخلاقي ورابطة علمية ثقافية؛ لأنها عملت على تعليم أفراد الشعب الجزائري بكل فئاته الاجتماعية الكبار في المساجد، والشباب في النوادي، والصغار في المدارس.

ج- أن خطاب كل من ابن باديس والإبراهيمي لا يكاد يخرج عن إطار الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح، يراعي ملابسات الواقع وقوانينه، يحتوي هموم المدعوين ويترلهم منازلهم، يدعوهم للانفتاح على ما لدى الغرب من علوم وتكنولوجيا وعدم تجاوز حدود الشريعة الغراء.

د- أن ابن باديس والإبراهيمي نجحا في كفاحهما ضد المنظمات الطرق الصوفية المنحرفة التي اختارا البدء بها؛ لما خلفته من أوهام وضلالات في عقول وأنفس العامة من الناس، وعدا المذاهب الصوفية والمذاهب الكلامية من أسباب تفرق المسلمين. ونجحا في غرس جمهرة من الأخلاق الفاضلة في نفوس الأمة الجزائرية كخلق الصبر وخلق الاعتماد على النفس، وناشدا مسألة تعليم المرأة المسلمة الجزائرية شريطة أن لا يخرج عن ما أمرت به الشريعة، وعملا على تخريج جيل من الشباب يعتز بدينه و عروبته ووطنه.كما دافعا عن القضية العربية والإسلامية؛ قضية فلسطين وق إما بتحريض الشعوب العربية والمسلمة والجزائريين على النهوض بواجبهم نحوها والمساندة التامة في إرجاع أراضيها.

3- الدراسة الثالثة للباحثة غنية جمَال بعنوان: "**جريدة البصائر ودورها الإصلاحي السلسلة الثانية 1947- 1956م**"[1]

هدفت الطالبة من خلالها إلى: استجلاء بعض ملامح الصحافة الإصلاحية ، وتحديد مدى تفاعلها مع أحداث الواقع وتأثيرها فيه، والمنطلقات والأسس التي اعتمدها في معالجة مختلف القضايا وذلك من خلال إلقاء نظرة عامة على الظروف التي استأثرت باهتمامها والأهداف التي سعى أصحابها

[1]- جمَال غنية، ***جريدة البصائر ودورها الإصلاحي السلسلة الثانية1947- 1956*** ، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2003- 2004.

إلى تحقيقها. وهذا من أجل تحديد دور الصحافة الإصلاحية في توجيه وإرشاد وإصلاح المجتمع الجزائري في ظل الظروف الاستعمارية الصعبة.

دراستها من نوع الدراسات الوصفية التي تستخدم منهج المسح، ومن خلال تحليل مضمون صحيفة البصائر كما وكيفا.

وختمت بحثها بجملة من النتائج أهمها:

أ- أهمية الدور الذي قامت به صحف جمعية العلماء في تلك الفترة، كانت أداة إيجابية في نقل الأحداث وتصوير الواقع من خلال تحليله وتفسيره، وبيان دلالاته وأبعاد انعكاساته في الداخل والخارج.

ب- أدت دورا إيجابيا في توعية وتوجيه المجتمع إلى ما يحقق خيره وفق التصور الإسلامي.

ج- تركيزها على زوايا دون أخرى يرجع إلى ظروف الواقع والأهداف، وتصورها لشكل الصراع وشكل وطريقة الحل والمواجهة.

د- تكامل دور الصحافة مع دور الوسائل الأخرى التي استعملتها والتي تتمثل في المدارس والمساجد والنوادي وتنظيم وفود الوعظ والإرشاد، وإقامة الندوات والمؤتمرات. وهذا من شأنه أن يساعدها في تحقيق نتائج هامة.

4- الدراسة الرابعة للباحث محمد زرمان بعنوان: "**الأسس النظرية لمنهج التغيير عند محمد البشير الإبراهيمي**"[1]، هدف الباحث من بحثه إلى معرفة الكيفية التي صاغ بها الإبراهيمي نظريته في التغيير والأسس التي يقوم عليها منهجه، ومدى استطاعته الإسهام في ترشيد وإنجاح تجربة التغيير الإسلامي في الجزائر، واعتمد في ذلك على المنهج التركيبي: المنهج الاستقرائي التحليلي، والمنهج التاريخي. وقد خلص في نهاية بحثه إلى أن:

أ- الإسلام؛ هو الإطار المرجعي لقيام أي حركة تجديدية. لذلك لا بد من الرجوع والاحتكام إلى مصادر الوحي الكتاب والسنة في جميع مجالات الحياة الدينية والثقافية والسياسية والاجتماعية وتجاوز الاجتهادية البشرية المتراكمة عبر العصور، وهو الإطار الذي أقام على أساسه دعوته.

[1]- زرمان محمد، ***الأسس النظرية لمنهج التغيير عند محمد البشير الإبراهيمي***، رسالة دكتوراه، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة 1994 - 1995.

ب- استيعاب مكونات الواقع بشقيه الفطري والمعيش، والإحاطة بالتركيبة النفسية والاجتماعية لأفراد المجتمع الواحد يمكن القائم على الإصلاح من تحديد طرق العلاج، وأساليب التغيير الملائمة وهذا ما حصل مع الإبراهيمي الذي انخرط في المجتمع وسبر أغواره.

ج- الإبراهيمي دعا إلى الانفتاح الحضاري الإيجابي، وبخاصة في الجوانب العلمية التقنية؛ وهي مشترك إنساني عام لا تعرف ديناً ولا جنسا ولا لغة. وعارض الانفتاح الحضاري السلبي الذي يس تورد القيم الأخلاقية الهابطة التي تقوم على الفلسفة المادية المخالفة لقيم ومبادئنا الإسلامية.

د- الإبراهيمي ركّز في مشروعه التغييري على إعادة تشكيل الإنسان، وتربيته تربية متكاملة ذلك أن العمليات التغييرية الناجحة أثبتت أن الإنسان هو مفتاح التغيير باعتباره وسيلة وغاية في المشروع الحضاري وعنصر جوهري فيها.

* على اعتبار أن البحث العلمي هو عملية تراكمية، فلقد كانت الاستفادة كبيرة من الدراسات السابقة سواء في الجانب المنهجي أو النظري، ويمكن القول أن ما يميز هذه الدراسة ما يلي:

– أن الدراسة جمعت بالبحث كلا من البشير الإبراهيمي وجريدة البصائر في حين اقتصرت الدراسات السابقة على أحد الجانبين دون الآخر.

– التركيز على تحليل مقالات الإبراهيمي التي تمثل عصارة فكره.

– تناولت هذه الدراسة محورا مغايرا لما تم دراسته من قبل وهو منهج الإبراهيمي في الدعوة إلى الله.

ثامنا– حدود الدراســـة:

1- عينة أعداد الدراسة: الأعداد الكاملة للسلسلة الثانية من جريدة البصائر.

2- الحدود الزمنية: امتدت الفترة الزمنية لعينة أعداد الدراسة من **1947** إلى **1956**.

صعوبات الدراسة:

لا ريب أن البحث اعترضته بعض الصعوبات منها ما هو ذاتي مرتبط أساسا بالمسؤوليات الحياتية العامة التي لا تترك المجال واسعا للبحث ولا تعطي الفرصة اللازمة له، فيصعب التفرغ ومن ثم المزاولة له بانتظام.

وهناك صعوبات موضوعية مرتبطة بطبيعة الموضوع ذاته من خلال تشعبه وامتداده بحيث تصعب معه السيطرة عله وضبط خطته.

الفصـــل الثاني:

الدور الدعوي للحركة الإصلاحية في الجزائـــــر

تمهيـــــــد:

عاشت الجزائر تحت حكم الاستعمار سنوات مظلمة، تدهور فيها وضع الجزائريين على جميع الأصعدة وفي مختلف المجالات الدينية والسياسية والاجتماعية والثقافية.

في ظل تلك الظروف الصعبة كان ميلاد الحركة الإصلاحية بعد أن تفطن العقلاء والراشدون من أبناء الأمة أن تهذيب الشعب وإصلاح عيوبه هو الخطوة الأولى في طريق الإنعتاق الذي لن يتأت إلا بالإصلاح الديني والعلمي مستخدمة في سبيل ذلك عدة وسائل منها المساجد والمدارس والنوادي والجمعيات والصحف..، فكان ميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وكان معهم ميلاد الصحافة الإصلاحية وعملا معا في سبيل الدفاع على مقومات الشخصية العربية الإسلامية.

وقد قسم هذا الفصل الذي جاء بعنوان الدور الدعوي للحركة الإصلاحية في الجزائر إلى ثلاثة مباحث، نتطرق في المبحث الأول إلى نشأة الحركة الإصلاحية وظروفها، حيث سنقوم بدراسة مفهوم الإصلاح ثم بعد ذلك دراسة نشأة الحركة الإصلاحية لنتطرق بعدها إلى أهداف الحركة الإصلاحية، أما المبحث الثاني سنتعرف على جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وذلك من خلال دراسة نشأتها وظروفها وكذا التعرف على مبادئ وأهداف الجمعية ونختم الفصل بالتعرف على وسائل الجمعية ونتائج أعمالها. أما المبحث الثالث سنتناول فيه الدور الدعوي للصحافة الإصلاحية وقسم إلى مطلبين الأول الصحافة الإصلاحية في الجزائر والثاني الدور الدعوي للصحافة الإصلاحية.

المبحث الأول: نشأة الحركة الإصلاحية وظروفها

الحركة الإصلاحية هي تعبير عن الحاجات الأساسية للمجتمع، بغض النظر عن تعريفاتها اللغوية ودلالاتها الإيديولوجية، وذلك بما يتصل بالنشاط الثقافي، والعلاقات الاجتماعية، والمتطلبات الاقتصادية، والأحوال السياسية، هذا ما جعل الحركة الإصلاحية بمثابة مشروع مجتمع يهدف إلى إحياء الحضارة، والجزائر كغيرها من بعض الشعوب العربية الإسلامية عرفت حركة إصلاحية اجتماعية دينية، كتطور اجتماعي تاريخي من مرحلة الركود والجمود الفكر، ومختـــلف مظاهر التخلف، إلى مرحلة الوعي والنهوض الفكري والثقافي، والتغيير إلى واقع أفضل.

المطلب الأول: مفهوم الإصلاح

أولا– الإصلاح لغة: جاء في قاموس لسان العرب، أن الإصلاح ضد الفساد، ومن فعل (صلح) بفتح اللام، و(صلح) بضم اللام، والصالح هو الجابر لأموره وأعماله، وصلح الشيء ضد أفسده، أي أقامه وعدله وسواه بعد أن كان فاسدا ومن المجاز أصلح إليه أي أحسن إليه، وأصلح الدابة: إذا أحسن إليها فصلحت وصارت صالحة للاستعمال، وأصلح الشيء أي تعهده وتولى أمر إصلاحه والصلح بضم الصاد أي التسوية بين الأطراف المختلفة بالتسوية والصلح، والصلاح والإصلاح من الصلح، بمعنى كل ما هو ضد الفساد[1].

ومن خلال هذه المقاربة اللغوية يتحدد لنا مفهوم الإصلاح أو الصلاح، فهو: الجبر، التسوية الإقامة، والتعهد بإصلاح ما تم إفساده، وتركه وإهماله من الأمور والمخلوقات والموجودات.

ثانيا– الإصلاح اصطلاحا: هو عملية تغييرية تهدف إلى إحداث تغيير جذري في واقع المجتمع الذي يحتاج للإصلاح في جميع مناحيه، الأخلاقي، الديني، التربوي، التعليمي، السلوكي الاجتماعي والمادي العمراني...، وذلك وفق برنامج يهدف إلى تحقيق الغايات المرجوة عبر مرحلة زمنية، بأساليب ومناهج ووسائل حضارية تتفاعل فيه الجهة المصلحة والمجتمع الذي هو بحاجة للإصلاح، بحيث يكون التغيير نحو واقع جديد.

وقد عرفه مبارك الميلي قائلا:" نبذ الفساد من العقائد والعوائد، وإرشاد ما هو صالح منها يؤخذ، وغايته ترقية المجتمع في سلم السعادتين الدنيوية والأخروية"، وبذلك فالإصلاح في تفكير مبارك الميلي هو ترك كل ما يفسد على الإنسان المسلم خاصة، وعلى المجتمع الإسلامي عامة من

[1]– ابن منظور، مرجع سابق، المجلد الثاني، ص: 516.

عقائد وعادات دخيلة، وبذل الجهد في انتقاء كل ما هو صالح، والهدف من ذلك هو تحقيق السعادة في الدنيا والآخـــرة، كما أن الإصـــلاح في نظـــر الميلي هو المجتمع في جميـــع مناحيـــه الاجتمـــاعية، الدينية، العلمية، الاقتصادية، السياسية، والمؤهل الأنسب في هذه العملية الإصلاحية هم مجموعة العلماء والمرشدين الأكفاء[1].

المطلب الثاني: نشأة الحركة الإصلاحية

تظافرت العديد من العوامل في بلورة فكرة الإصلاح بالجزائر منذ مطلع القرن العشرين لتصبح بعد الحرب العالمية الأولى حركة لها مبادؤها ومنهجها، كان أولها تأثر الحركة الإصلاحية الجزائرية بمثيلتها في المشرق العربي ولاسيما رائدها الشيخ العلامة جمال الدين الأفغاني والإمام محمد عبده، و قد كان لما تناقلته الأحاديث عن هذا الأخير من قبل مؤيديه وكذا معارضيه الأثر الكبير في نشوء الحركة إذ كانت تلك الأحاديث تفعل فعلها في النفوس المتبرمة من الحاضر، والمستشرفة إلى مستقبل زاهر، ويضاف إلى هذا العامل عامل آخر كان له أثره في التمهيد للدعوة الإصلاحية وهو قراءة المنار رغم قلة قرائه في ذلك العهد واطلاع بعض الناس على كتب المصلحين القيمة ككتب ابن تيمية و ابن القيم والشوكاني.

هذا بالإضافة إلى البعثات العلمية إلى الحجاز التي لعبت هي أيضا دورا هاما في إذكاء فكرة الإصلاح في الجزائر، بعد أن عادت نخبة من الطلبة بالهدي المحمدي الكامل وقد تأثرت بالإصلاح تأثرا خاصا يضاف إلى العاملين السابقين، الحرب العالمية الأولى وما كان لها من تداعيات و آثار على زعماء الطرقية، بعدما انكشفت خباياهم وانفضحت مزاعمهم وتبينت اتجاهاتهم الحقيقية فانحطت بذلك قيمة المقدسات الوهمية في نظر كثير من الناس. ومما أعان على نمو هذا الأثر في النفوس، تطور زعماء التخريف وأساطين التدجيل والانكباب على المال والتكالب في جمعه والانهماك في الملذات ومزاحمة العامة في الوظائف والنياشين بعد أن كانوا وكان سلفهم القريب يتظاهرون بالبعد عن هذه المواقف.

وثمة عامل آخر لا يمكننا تغافله ونحن نعرض لبدايات الحركة الإصلاحية في الجزائر، يتمثل في الثورة التعليمية التي أحدثها الشيخ عبد الحميد بن باديس بدروسه الحية والتربية الصحيحة التي

[1] – عيساوي أحمد، ***الفكر الإصلاحي عند الشيخ العربي التبسي***، أشغـــال الملتقى الوطني الرابـــع للفكر الإصلاحي في الجـــزائر، ج1، الجمعية الثقافية العربي التبسي، ص: 44.

كان يأخذ بها تلاميذه والتعاليم الحقة التي كان يبثها في نفوسهم الطاهرة النقية والإعداد البعيد المدى الذي كان يغذي أرواحهم الوثابة الفتية، فما كادت تنقضي مدة حتى كان الفوج الأول من تلاميذ ابن باديس مستكمل الأدوات من فكر صحيح وعقول نيرة ونفوس طامحة وعزائم صادقة، وألسن صقيلة وأقلام كاتبة،

كما عزز تلك الثورة التعليمية البعثات العلمية التي استفاد منها أبناء الجزائر حين زحفت من أولئك التلاميذ في ذلك العهد كتيبة جرارة سلاحها الفكرة الحية الصحيحة إلى جامع الزيتونة لتكمل معلوماتها ولتبني على تلك الفكرة الحية، وذلك الأساس العلمي الصحيح بناء علميا محكما ورجعت تلك الطائفة إلى الجزائر فكان من مجموعها ومما تخرج بعدها من تلاميذ الأستاذ ومن تلاميذ جامع الزيتونة جنود الإصلاح وقادته وألويته المرفرفة وأسلحته النافذة .

فمجمل هاته العوامل إضافة للاستعداد الفطري للشعب الجزائري، مهد لظهور الحركة الإصلاحية بالجزائر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر حيث برز عدد من المصلحين من الجيل الأول وكانوا سلفيين منهم الشيخ صالح بن مهنة والشيخ عبد القادر المجاوي والشيخ عبد الحليم بن سماية والشيخ محمد بن خوجة، هؤلاء وغيرهم من الرجال الذين ظهروا بفكرة إصلاحية محدودة ولكنها على كل حال محمودة، وذلك قبل أن يظهر الإصلاح التعاوني ويزخر عبابه وتتسق أسبابه فقاوموا البدع من دوائر ضيقة وكان لهم في القضاء على بعضها مساع موفقة.

كان تأثير هؤلاء العلماء محدودا لأن الظروف لم تكن مواتية، فبعضهم كان يعمل مدرسا في مدارس الإدارة الحكومية، مما اضطرهم إلى إخفاء نشاطهم، وكان البعض الآخر يحتفظ لنفسه بأفكاره لأنهم يؤمنون أن الوقت لم يحن بعد لنشرها[1]..

ولقد واجهت الحركة الإصلاحية منذ نشأتها نوعين من المعارضة، النوع الأول معارضة سياسية تتمثل في السلطة الاستعمارية التي عملت على تعطيل مسار الحركة وذلك باضطهاد أصحابها وملاحقتهم وتوقيفهم والزج بهم في السجون، أما الثانية فكانت معارضة دينية تتمثل في رجال الصوفية والطرقيون[2].

[1]- عمارة حياة، ***أدب الصحافة الإصلاحية الجزائرية من عهد التأسيس إلى عـــهد التعددية***، رسالة دكتوراه،كلية الآداب واللغات، جامـــعة تلمسان، 2014م، ص:31.

[2]- المرجع نفسه، ص:31.

المطلب الثالث: أهداف الحركة الإصلاحية

إن المطلع على تاريخ الجزائر يجد أن الحركة الإصلاحية عملت على تحقيق هدفين رئيسين يتمثل الأول في الحفاظ على مقومات الأمة وثوابتها من لغة ودين وتاريخ وحضارة. ويكمن الثاني في محاربة الجهل وكل مظاهر التخلف، فكان شعار الفكر الإصلاحي يتلخص في نقطتين اثنتين:

- الرجوع إلى الماضي العريق فكرا وثقافة وتراثا مع صياغته على وجه يساير العصر وهو ما عرف بعملية " الإحياء" .

- نقد الواقع للخروج من التخلف المادي والأدبي والفكري[1].

وقد اعتمدت الحركة في عملها على اتجاهين: أولهما الدعوة والثاني الصراع، الدعوة إلى التاريخ المجيد والاستفادة منه، والصراع ضد الطرق الصوفية وأساليبهـــم وفهمهم الخاطئ للإسلام، هذا الأخير الذي نشأ بين الفريقين إنما حدث بعد الدعوة الجديدة إلى الإصلاح مما فجر بينهما معركة حادة دامت حتى سنة 1954، تاريخ اندلاع ثورة نوفمبر المظفرة.[2]

وهي في هذا كله تغرف من منبع واحد لا يشوبه تغيير ولا تبديل ذلك هو القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. لأن الاعتماد على سواهما من النصوص أوقع الناس في البلبلة والاضطراب وأدى إلى تمزق المسلمين وإلى ظهور شيع وفرق أضرت بالوحدة الإسلامية، لاسيما تلك الفرق المتصوفة المتزمتة التي لا تعتقد إلا في النصوص ذات الصلة بالتصوف ومعانيه، وهو ما تعتبره الحركة الإصلاحية عائقا لا عاملا مساعدا لتطور المجتمع الإسلامي. ومن ثمة عملت على تحرير العقول من الأوهام والضلالات في الدين والدنيا وتحرير النفوس من تأليه الأهواء والرجال[3] وهكذا وجه رجال الإصلاح عنايتهم لمراجعة التراث وغربلته.

ليستردوا للغة العربية التي اعتراها الجمود عصورها الزاهرة، ويستعيدوا لها حيويتها التي مكنتها في العصور الماضية أن تستوعب ثقافات الشعوب والأمم كما سعوا لتنقية الدين من الأوهام والخرافات التي طغت عليه وأدخلت فيه ما ليس من جوهره ومبادئه، وعملوا على استرداد مكانته في النفوس ليصبح – كما في الماضي – قوة روحية ومبادئ اجتماعية تمكن من خلق

---

[1]- الإبراهيمي محمد البشير، ***آثار محمد البشير الإبراهيمي***، جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان ، 1997،ج1، ص:23 .

[2]- عباس، محمد، ***الإبراهيمي أديبا***، ديوان المطبوعات الجامعية، المطبعة الجهوية، وهران، الجزائر،1984، ص1 .

[3]- البصائر، سل2 ،عدد2 ، 66 هـــ، 1947 م، ص: 2 .

حضارة عربية إسلامية تضئ العقل الإنساني، وتكشف له أسرار النفس والروح، وتوسع مداركه، وتفتح له آفاقا واسعة في العلم .لذلك كان لا بد من المطالبة بتحرير الدين من السيطرة الفرنسية ونشر التعليم العربي بتكوين مدارس خاصة، وتدريس علوم العربية في المساجد، واعتبار اللّغة العربية لغة رسمية. وهي شعارات رفعتها الحركة منذ بدايتها وألحت عليها طوال مسيرتها الإصلاحية وعملت على تحقيقها فكان أن شيدت المساجد والمدارس الحرة وأنشأت النوادي والجمعيات وأصدرت الصحف لتجعل منها وسائل مسخرة لخدمة الإصلاح والمصلحين وبالتالي المجتمع الجزائري. [1]

المبحث الثاني: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

جاءت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كتتويج للنشاط الإصلاحي الذي قام به علماء الجزائر ونخبتها، على صفحات الجرائد والمنتديات الثقافية ، ومدارس التعليم ا لعربي الحر، وذلك بعد سعيهم لإيجاد تنظيم يلم شملهم ويوحد كلمتهم، إذ اكتمل حلمهم وتحول نشاطهم الفردي إلى مشروع وطني، يهدف لإعادة بناء المجتمع الجزائري على أسس جديدة، دعائمها الجزائر وطننا والعربية لغتنا والإسلام ديننا. فالجمعية تأسست خدمة للوطن وللقضاء على الأباطيل والخرافات التي استعملها المستعمر لبث روح الفشل في نفوس الجزائريين حتى لا يميلوا إلى الكفاح، مستغلين عملهم الصحفي ومختلف الصحف الوطنية، وجرائد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

المطلب الأول: نشأتها وظروفها

أولا: نشأتها

لا شك في أن إنجاز أي مشـــروع جماعي ناجح، أو تشييد بنـــاء مشتـــرك متين الأساس، يحتاج إلى طاقة بشرية نوعية يشرف عليها قائد ؛ يفكر ويدبر، قادر على التخطيط والتنظيم و التنفيذ، ذا خلق ودين، راسخ القدم في العلم، يضع الأمور في مواضعها، يستوعب المتغيرات والظروف الحاصلة دونه، يعمل بتأني ويتبع المرحلية في العمل تفاديا للوقوع في الأخطاء.

كل هذه المواصفات وغيرها تجسدت في شخصية عبد الحميد بن باديس، باني النهضة العلمية والأدبية والاجتماعية والسياسية في الجزائر، وزعيم الحركة السلفية في الجزائر بعد الحرب العالمية الأولى (1914-1918) والداعي الأول إلى تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي

[1] – عمارة حياة، مرجع سابق، ص:40.

عرفها محمد البشير الإبراهيمي بأنها:" جمعية علمية دينية تهذيبية، تعلم وتدعو إلى العلم، وترغب فيه وتعمل على تمكينه في النفوس بوسائل علنية واضحة لا تتستر، وتعلم الدين والعربية لأنهما شيئان متلازمان وتدعو إليهما وترغب فيهما وتنحو في الدين منحاها الخصوصي؛ وهو الرجوع به إلى نقاوته الأولى وسماحته في عقائده وعباداته، ... وتدعو إلى مكارم الأخلاق التي حض الدين والعقل عليها لأنها من كمالها، وتحارب الرذائل الاجتماعية التي قبح الدين اقترافـــها وذم مقترفيها، وسلكت في هذه الطريق أيضا الجادة الواضحة، وتريه ما يتعارض منها مع الدين وما لا يتعارض. فهي أداة من أدوات الخير والصلاح، وعامل لا يستهان به من عوامل التربية الصالحة والتهذيب النافع، وعون صالح لأولي الأمر على ما يعملون له من هناء وراحة، تشكر أعماله ولا تنكر"[1].

تعود البدايات الأولى للتفكير في إنشاء تنظيم يجمع شمل العلماء الجزائريين ، إلى اللقاءات التي جمعت عبد الحميد بن باديس برفيق دربه محمد البشير الإبراهيمي إثر إقامته بالمدينة المنورة ، أين كانا يتدارسان معا قضية الجزائر الجريحة، والسبيل الأنجع للنهوض بوضعها التعيس و المتخلف في جميع ميادين الحياة؛ بسبب السياسة الاستدمارية الجائرة التي أتت على جسم وعقل الشعب الجزائري لمدة تزيد عن قرن. ويحدثنا الإبراهيمي عن هذه الاجتماعات التي وضعت خلالها البرامج المفصلة لنهضة الوطن الأم الجزائر ، وتم على إثرها تحديد الوسائل المناسبة التي ستعين الشعب الجزائري على الخروج من دائرة الجمود والجهل فيقول":وأشهد الله على أن تلك الليالي من عام 1913 م ميلادية هي التي وضعت فيها الأسس الأولى لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي لم تبرز للوجود؛ إلاّ في عام 1931[2]".

نادى ابن باديس علمـــاء الدين العاملين في الساحة الجزائريـــة من منبر" **الشهاب** " سنة 1925 م، إلى ضرورة تشكيل حزب إسلامي إصلاحي يعمل على تطهير الدين مما أدخله عليه الجاهلون من خرافات وضلالات، والعودة به إلى أصوله الصحيحة المتمثلة في القرآن الكريم و السنة النبوية المطهرة ، وذلك بعد مرور شهور من احتفال فرنسا بمناسبة مرور قرن كامل على احتلالها لأرض الجزائر وقام بتوجيه نداء إلى العلماء الإصلاحيين جاء فيه": أيها السادة العلماء المصلحون

[1] – الإبراهيمي محمد البشير، ***آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي***، مرجع سابق ، ص: 199 .

[2] – الإبراهيمي محمد البشير، ***أنـــا***، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، السنة الخامسة عشرة، العدد87، شعبان –رمضان 1405 هـــ ، ماي – جويلية 1985 م ، ص: 18 -19.

المنتشرون بالقطر الجزائري، إن التعارف أساس التآلف والاتحاد شرط النجاح فهلموا إلى التعارف والاتحاد بتأسيس حزب ديني محض غايته تطهير الدين مما ألصقه به الجاهلون من الخرافات والأوهام والرجوع إلى أصلي الكتاب والسنة وما كان عليه في عهد القرون الثلاثة... إننا نرغب من كل من يستحسن هذا الاقتراح ويلبي هذه الدعوة من أهل العلم من كل من يحب الإصلاح أن يكاتب إدارة الجريدة ببيان رأيه حتى إذا رأينا استحسانا وقبولا من عدد كاف شرعنا في التأسيس[1]. "

وقد أرجع ابن باديس سبب الضلال والتمزق الذي يعيشه الشعب الجزائري إلى تفريط العلماء لأمر الاجتماع وانكفائهم على ذواتهم وقبوعهم داخل بيوتهم؛ غير مبالين بما يحدث في الواقع من استبداد المستبدين ، واستفحال وباء الجهل الذي هوى بعقله إلى أسفل السافلين فقال":ما أصيب المسلمون في أعظم ما أصيبوا به إلا بإهمالهم لأمر الاجتماع ونظامه، إما باستبداد أئمتهم وإما بانتشار جماعتهم بضعف روح الدين فيهم وجهلهم بما يفرضه عليهم . وما ذاك إلا من سكوت علمائهم وقعودهم عن القيام بواجبهم في مقاومة المستبدين وتعليم الجاهلين وبث روح الإسلام الإنساني السامي في المسلمين"[2]

في اليوم الخامس من شهر ماي سنة 1931 م، اجتمع لفيف من العلماء تعددت منازعهم ومشاربهم، و تنوعت اتجاهاتهم الدينية : موظفين دينيين في الإدارة الحكومية، وطرقيين وأصحاب الزوايا المستقلة، و العلماء الأحرار خريجي جامع الزيتونة بتونس، وجامع الأزهر بمصر المتأثرين بدعوة المنار في الجزائر العاصمة بنادي الترقي.

وكان الناس أمام هذا الصرح الجديد فرقا ثلاثة : فريق استراح لها و تفاءل بها ورآها خيرا وبركة على المجتمع الجزائري . وفريق توجس منها خيفة وتشاءم منها ورآها شرا عليه ، ضم : المعمرين، والطرقيين ودعاة الاندماج والتجنس . وفريق توسط الفريقين الأولين، تحير لم ير الحق حقا فيتبعه، و لم ير من هذه الجمعية باطلا فينكره [3] .

---

[1]- مراد علي ، ***الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر من 1940 إلى 1925 م***، ترجمة محمد يحياتن، دار الحكمة، الجزائر، 2007م، ص: 143- 144.

[2]- ابن باديس عبد الحميد، ***مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير***، ط1، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1982، ص:221.

[3]- الميلي محمد، ***الشيخ مبارك الميلي حياته العلمية ونضاله الوطني***، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان ، 2001م،ص: 215.

تدارس المجتمعون أمر الشروع في تأسيس الجمعية، و قاموا بوضع القانون الأساسي للجمعية، صاغه البشير الإبراهيمي، وأقرته الهيئة الإدارية بالإجماع وقررت ترجمته باللغة الفرنسية، وتقديمه للحكومة طالبة منها التصديق عليه[1].

تم انتخاب أعضاء المكتب الإداري الثلاثة عشر والموافقة عليهم، كان من بينهم عبد الحميد بن باديس الذي أختير غيابيا رئيسا للجمعية، و لم يحضر إلا باليوم الثالث والأخير للاجتماع .كما انتخب محمد البشير الإبراهيمي نائبا له، والأمين العمودي كاتبا عاما، والطيب العقبي مساعدا للأمين العام، و مبارك الميلي أمينا للمال، و إبراهيم بيوض مساعدا لأمين المال . إضافة إلى مجموعة من الاستشاريين: المولود الحافظي، مولاي بن الشريف، الطيب المهاجي، السعيد البحري، حسن الطرابلسي، عبد القادر القاسمي..، جمعتهم وحـــدة المشرب، ووحدة الفكرة، ووحدة المنازع الاجتماعية و السياسية، ووحدة المناهضة للاستعمار[2]

وعليه؛ فإن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين هي: جمعية إصلاحية وجدت بعد نقاش دام خمس سنوات ونصف نوفمبر 1925 إلى ماي 1931 م[3] ؛ لأجل تعليم الدين واللغة العربية والدعوة إليهما للكبار في المساجد، وللصغار في المدارس، وللشباب في النوادي .كما وجدت من أجل أن تغرس مكارم الأخلاق في النفوس، وتحارب الرذائل الاجتماعية، وتعرف الشعب الجزائري بتاريخ وطنه و دفعه للثورة على الاستعمار ومطالبته بحقه في الاستقلال كغيره من الشعوب، شعارها "**الإسلام ديننا، والعربية لغتنا، والجزائر وطننا**". هذه الأقاليم الثلاث هي مقومات الشخصية الوطنية الجزائرية قديما وحديثا ومستقبلا.

ثانيا: ظروفهـــــا

أ- مرور قرن كامـــل على الاحتلال الفرنسي للجزائـــر واحتفـــال الفرنسيين بذلك استفزازا للأمـــة، وإظهارا للروح الصليبية التي يضمرونها للإسلام والمسلمين، وتشجيع الجاليات اليهودية ومنحها امتيازات خاصة وإعطائها الجنسية الفرنسية.

ب- التحضير للمؤتمر الإسلامي الذي عقد بالقدس برئاسة الحـــاج الأمين الحسيني في ديسمبر 1931م، والذي كان هدفه توحيد الصف الإسلامي بعد سقوط الخلافة الإسلامية.

---

[1]- الإبراهيمي محمد البشير، ***آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي***، مج4، ص: 72.

[2]- الإبراهيمي محمد البشير، ***أنـــا***، مرجع سابق، ص:22 .

[3]- مراد علي، ***الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر من 1925 إلى 1940 م***، مرجع سابق، ص:149 .

ج- الاعتداء الصارخ للحريات الأساسية للمواطنين، والتضييق على الصحافة الجزائرية.

د- بروز كتلة من النخبة المثقفة ثقافة فرنسية تدعو إلى إدماج الجزائر والذوبان في الحضارة الفرنسية.

هـ- تراجع دور المؤسسات العربية الإسلامية في الجزائر، وتضييق الخناق عليها من طرف السلطات الاستعمارية.

و- انتشار الجهل والأمية في أوساط المجتمع الجزائري، وتزايد نفوذ بعض الطرق الصوفية الضالة والمسالمة للإدارة الفرنسية[1].

المطلب الثاني: مبادئ وأهداف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

أولا: مبادئ الجمعيـــة

يمكن اختصار المبادئ التي ناضلت من أجلها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الشعار المعروف الذي كانت تكتبه على غلاف بعض من كتبها المدرسية التي يدرس فيها تلامذة مدارسها و هي:الإسلام ديننا، العربية لغتنا، الجزائر وطننا.

وكانت جريدة البصائر، و هي اللسان المركزي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين تحمل في صدر صفحتها الأولى تحت العنوان مباشرة، الشعار التالي : العروبة و الإسلام، و ذلك بتقديم لفظ العروبة على لفظ الإسلام، باعتبار اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم و بالتالي هي لغة الإسلام[2] وطبقا لشعارها، الإسلام ديننا و العربية لغتنا و الجزائر وطننا، و هي المقومات الأساسية للشخصية الجزائرية ماضيا و حاضرا و مستقبلا، فقد ناضلت جمعية العلماء نضالا صامدا لا هوادة فيه، ضد كل ما يمس أحد مقومات الشخصية الجزائرية من قريب أو بعيد و لذلك حاربت الأمور التالية:

أ- التنصير

ب- الفرنسية

ج- التجنيس

د- الاندماج في فرنسا

كتب الشيخ عبد الحميد بن باديس يقول ":العروبة، و الإسلام الفضيلة، هذه أركان نهضتنا، وأركان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التي هي مبعث حياتنا، و رمز نهضتنا فمازالت هذه الجمعية

[1]- الشهاب، المجلد السابع، السنة السابعة (فيفري 1931)، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001، ص:49 .

[2]- تركي رابح ، ***التعريف بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين***، مجلة بونة للدراسات، عنابة ، العدد 2، نوفمبر 2004 ، ص: 11.

منذ كانت تفقهنا في الدين، و تعلمنا اللغة، و تنيرنا بالعلـــم، و تحلينا بالأخـــلاق الإسلاميـــة العالية، وتحفظ علينا جنسيتنا، و قوميتنا، و تربطنا بوطنيتنا الإسلامية الصادقة"[1]

وتتلخص مبادئ جمعية العلماء بصفة إجمالية في الفقرات التالية التي ننقلها من مقال كتبه رئيسها الثاني الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، بعد وفاة رئيسها الأول الشيخ عبد الحميد بن باديس في جريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء تحت عنوان: جمعية العلماء، موقفها من السياسة والساسة وقد جاء فيه ما يلي" :يا حضرة الاستعمار، إن جمعية العلماء تعمل للإسلام بإصلاح عقائده، و تفهيم حقائقه، و إحياء آدابه، و تاريخه، وتطالبك بحرية التعليم العربي، و تدافع عن الذاتية الجزائرية، التي هي عبارة عن العروبة و الإسلام مجتمعين في وطن، و تعمل لإحياء اللغة العربية و آدابها، و تاريخها، في موطن عربي و بين قوم من العرب، و تعمل لتوحيد كلمة المسلمين في الدين و الدنيا، و تعمل لتمكين أخوة الإسلام العامة بين المسلمين كلهم، و تذكر المسلمين الذين يبلغهم صوتها بحقائق دينهم، و سير أعلامهم، و أمجاد تاريخهم، و تعمل لتقوية رابطة العروبة، بين العربي و العربي لأن ذلك طريق لخدمة اللغة و الأدب"[2].

ثانيا: أهداف الجمعيـــة

جاء في الفصل الرابع من قانونها الأساسي ما يعبر عن غايتها الآنية، ما يلي": القصد من هذه الجمعية هو نشر الدين الإسلامي على وجهه الصحيح، البعيد عن كل بدعة ، ومحاربة كل ما يحرمه صريح الشرع كالخمر، والميسر، والآفات الاجتماعية الأخرى، ومحاربـــة الجهل، والبطالـــة، والإسراف، وكل منهي عنه بطبيعته من طرف الدين، والأخلاق الفاضلة "[3]

ولخص ابن باديس أهداف الجمعية في قوله": القرآن إمامنا، والسنة سبيلنا، والسلف الصالح قدوتنا، وخدمة الإسلام وإيصال الخير لجميع سكان الجزائر غايتنا "[4]

يتبين لنا من خلال هذه الكلمات المسطرة في القانون وكلمة الشيخ ابن باديس، أن جمعية العلماء ما برزت للوجود إلا من أجل تحقيق أهداف مرحلية وأخرى حقيقية ؛ فأما الأولى فتتمثل في:

---

[1]- البصائر، العدد 3 ، بتاريخ 22 أوت 1947 ، ص: 1.

[2]- البصائر، العدد 83 ، بتاريخ 30 سبتمبر 1937 ،ص: 1.

[3]- القانون الأساسي لجمعية العلماء، المطبعة الجزائرية الإسلامية ، قسنطينة ، الجزائر ، د- ت.

[4]- سعد الله أبو القاسم ، ***الحركة الوطنية الجزائرية 1930 - 1945***، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، مج3، 1992 ، ص: 89.

أ- تنقية الدين الإسلامي من شوائب البد ع والخرافات، التي ألصقتهـــا به الطرق المنحـــرفة الضـــالة؛ أعوان الإدارة الاستعمارية عن طريق التشهير بها في الجرائد والمحاضرات، والدروس في المساجد، والنوادي، والجمعيات.

ب- تحرير عقل وروح الفرد الجزائري من أغلال الجهل والأمية، وسلوكاته من الانحرافات الأخلاقية الضاربة بأطنابها إلى الأعماق، وتوحيد صف الشعب؛ وذلك بتعليمه اللغة العربية، وأصول الدين والتربية، والتعريف بتاريخ أجداده المجيد عن طريق فتح مدارس تشرف عليها، وتتولى مسؤوليتها.

ج- مقاومة السياسة الاستعمارية ، وكشف حقيقة مشروعه ا الهادف إلى محو الدين الإسلامي من على أرض الجزائر وتنصيرها، متبعة بذلك سياسة التنصير و الإلحاد، و الفرنسة والإدماج...

د- هدف اقتصادي محاولة منهم في بعث الاقتصاد الوطني المنهار، فيرى الشيخ محمد خيرالدين أن هذا الهدف من الفوارق بين جمعية العلماء والحركات الإصلاحية التي مضت؛ ومن مظاهر السعي في تحقيق هذا الهدف نداء الشيخ الإبراهيمي في 03 ديسمبر عام 1942 للأغنياء الجزائريين في التكتل وتكوين مؤسسات اقتصادية يعود نفعها على الأمة في الحاضر والمستقبل بعد الاستقلال.

أما الثانية، فتتمثل في تحرير الأبدان والأوطان بإعلان الثورة التحريرية المسلحة على المستعمر الغاشم وطرده من أرض الوطن، وحصول المواطن الجزائري على الاستقلال التام.

إذن، فجمعية العلماء استطاعت بفضل حنكتها وعلمها بدسائس ومؤامرات الإدارة الاستعمارية أن تضيف إلى قانونها أهدافا مرحلية تسمح لها بممارسة نشاطها بشكل عادي ظاهرها تعليم الدين الإسلامي في المسجد و المدرسة والنادي ، ونشر الأخلاق الفاضلة، وخفيه الإعداد للثورة ضد الاحتلال الفرنسي وطرده من أرض الوطن.

المطلب الثالث: وسائل الجمعية ونتائج أعمالها

أولا: وســـائل الجمعيـــة

أ- الصحافة: حظيت الصحافة المكتوبة بمكانة مرموقة لدى جمعية العلماء واكتست أهمية بالغة خاصة منها سنوات العشرينات والثلاثينيات من القرن العشرين. وهي الوسيلة الإعلامية الرائجة الاستعمال يومها، وقد أشار مبارك الميلي إلى ذلك بقوله": وإن من أهم الخطط وأعم الوسائل لتحقيق الغايات ونشر الدعوات: إنشاء الصحف السيارة التي تحفظ جيد الأقوال، وسديد النظريات وتدخلها على الطالب في مسكنه، وعلى التاجر في متجره، وعلى الصانع في مصنعه، وعلى الملإ في ناديهم، وعلى المسافرين في مراكبهم، بل لا يحجبها على الفتيات خدر ولا حرس... وما وجدت فكرة الإصلاح الديني بأرض الجزائر حتى وجدت لها صحف تعبر عنها وتبشر بها وتدافع عنها[1]. تعبر عن أفكارها ودعواتها وأفكارها بين الجزائريين وسلاحا خطيرا تستخدمه ضد خصومها من الإدارة الاستعمارية.فكانت جريدة المنتقد ، والشهاب ، الشريعة المحمدية، السنة النبوية، الصراط السوي ، ثم جريدة البصائر التي اهتمت بشؤون الأمة العربية خاصة شمال إفريقيا، وكافحت من أجل إحياء اللغة العربية ، كما حاربت بعض الطرق الصوفية، والسلطات الاستعمارية، إلا أن الإدارة الفرنسية كانت توقف كل صحيفة تشك في لهجتها أو اتجاهها العام. فقد تعطلت جميع الجرائد والمجلات باسم الجمعية وباسم أعضائها، و لم تبقى في الوجود سوى صحيفة "الإصلاح" وجريدة "الوفاق".

ب - المدارس و المعاهد:

تعتبر المدارس واحدة من أهم الوسائل التي اعتمدت عليها الحركة الإصلاحية إذ شكلت منارات للعلم ونشر الوعي يقول الشيخ البشير الإبراهيمي:"حياة الأمم في هذا العصر بالمدارس، مـــــــا في هذا شك، إلا أن قلوبا ران عليها الجهل، وغان عليها الفساد ، و نفوس ختم عليها الضلال وضرب على مشاعرها المسخ ، و طال عليها الأمد في الرق، فصدأت منها البصائر، و عميت الأبصار، فتغير نظرها في الحياة و وسائلها ، فرضيت بالدون ولاذت بالسكون. الحياة بالعلم، و المدرسة منبع العلم، ومشرع العرفان، وطريق الهداية إلى الحياة الشريفة، فمن طلب هذا النوع من الحيـــــاة من غير طريق العلم زل، ومن التمس الهداية إليه من غيرها ضل، وحياة الأمم التي نراها ونعاشرها شاهد صدق على ذلك ".

[1]- زرمان محمد، مرجع سابق، ص:288 .

ولأن المحتل كان يدرك تمام الإدراك ما للمؤسسات الدينية التعليمية من دور في نشر الوعي بين الجزائريين وتعريفهم بكنوز حضارتهم، عمد إلى إغلاق تلك المؤسسات والاستيـــــلاء على الأوقاف التي كانـــــت تمولها، وملاحقة القائمين عليها .وبالمقابل فتح مدارس تابعة له تخدم أغراضه الاستعـــمارية و مراميه الاستيطانية فكان أن افتتحت سنة 1850م، ثلاث مدارس تتمركز كل منها في واحدة من العمالات الثلاث بالجزائر يومئذ، وقد أطلق عليها اسم المدارس الفرنسية الإسلامية. واعتبرت اللغة العربية في تلك المدارس لغة ثانية بعد اللغة الفرنسية .وكانت النتيجة الحتمية لتلك الخطة الاستعمارية أن انحسر العلم في ربوع الوطن و تفشى الجهل و عمت الأمية و بقي الحال على حاله إلى قيام النهضة الوطنية التي كانت إيذانا بانطلاقة رائدة للنهضة التعليمية الحرة .

على أننا لا نعدم وجود بعض الجهود الفردية في تأسيس المدارس الحرة التي فتحت موازاة مع المدارس التي فتحتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منها :المدرسة العربية الصديقية الحرة التي أسسها السيد ابن حمانة و الأخوين عمر و بكير العنق بمدينة تبسة سنة 1913و مدرسة السلام في حي القصبة و مدرسة الشبيبة الإسلامية الجزائرية بالعاصمة و معهد الحياة بالقرارة ومدرسة التربية و التعليم بقسنطينة. و قد كان لجمعية العلماء المسلمين الأثر البين في نشر العلم و تربية النشء وفق تعاليم الدين الحنيف و ربطه بحضارته العريقة من خلال ما أنشأته من مدارس حرة عبر الوطن سخرا لبعث أمجاد الأمة و إحياء اللغة العربية[1].

إضافة إلى مدارس أخرى كالمدرسة الإصلاحية بوهران، مدرسة الإخاء للتربية ببسكرة، مدرسة التربية و التعليم بباتنة، مدرسة دار الحديث بتلمسان .... و هكذا توالت المدارس و تعاقبت رغم تعنت المستعمر و تعّقبها و مطاردة معّلميها و القائمين عليها، لتنتشر في الّثلاثينيات و الأربعينيات بصورة أذنت بوثبة عملاقة في تاريخ النهضة الوطنية، خاصة و أنها لقيت" التفافا قوميا حولها، و إقبالا من الناشئة عليها"...

ج- المســـاجد: لم يكن المسجد مكانا للتعبد فقط، بل كان أيضـــا مدرســـة لمحاربة ومكافحة الأمية، فقد شرح ابن باديس أهمية السجد في مقال له فقال:" إذا كانت المساجد معمورة بدروس العلم فإن العامة التي تنتاب تلك المساجد تكون من العلم على حظ وافر، وتكون منها طبقة مثقفة الفكر صحيحة العقيدة، وبصيرة بالدين"[2].

[1]– عمارة حياة، مرجع سابق، ص: 48.

[2]– زرمان محمد، مرجع سابق، ص:292.

اتخذت الجمعية من المسجد مؤسسة فعالة للتربية والتعليم، ومركز إشعاع حضاري ساهم في تطوير الجانب الفكري التربوي للجزائريين، ومن أهم المساجد التي قامت بهذا الدور " المسجد الكبير" بسيدي عبد الرحمان بالعاصمة، والذي وصل عدد الطلبة فيه سنة 1936 إلى حوالي ثلاثمائة طالب، ولما كان عدد الطلبة في تطور، تم تأسيس كلية التعليم الديني لتخريج فقهاء يعلمون الأمة أمر دينها، واتخذ العلماء في المساجد طريقة الوعظ والإرشاد، اقتداء بالسلف الصالح، ينشرون سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرة الصحابة وعلماء السنة[1].

د- النوادي و الجمعيات: لم يقف نشاط جمعية العلماء عند بناء المساجد وإنشاء المدارس وتأسيس الصحف؛ بل تعداه إلى تنظيم النوادي مراكز التثقيف والتوعية والتعليم والإعلام والتهذيب الغاية من فتحها هو" إصلاح ما أفسدت المقاهي والملاهي من أخلاق الشباب، وكلها ميادين للعمل ومنابر للخطابة ومستغلات للعلم والتعليم" [2]

على أن الجمعيات و النوادي التي ظهرت في تلك الحقبة الزمنية تنقسم حسب توجهاتها و مراميها إلى:

1- جمعيات و نوادي من تأسيس المستعمر و إشرافه: سواء الثقافية منها أم الاجتماعية .و يأتي في مقدمة الجمعيات ذات الطابع الثقافي: الجمعية التوفيقية الرشيدية وجمعية الهلال ونادي التقدم ونادي الشباب، وكلها بالجزائر العاصمة، ونادي صالح باي بقسنطينة.وهي جمعيات ونوادي يشرف عليها ويديرها المحتل إما مباشرة أو عن طريق أتباعه و مؤيديه من الجزائريين أنفسهم. أما الجمعيات الاجتماعية أو ذات الاهتمامات المختلفة، فيرأسها بعض الجزائريين منها الجمعيات الدينية الرسمية، كجمعية الميعاد الخيرية وجمعية اتحاد الزوايا.

2- جمعيات ونوادي وطنية :و هي تابعة للحركة الوطنية الجزائرية أيا كانت مشاربها، ونابعة من جهود الجزائريين و أهمها: الجمعية الخيرية بالعاصمة التي ترأسها في أواسط العشرينيات الشيخ الدامرجي ثم أعقبه الشيخ الطيب العقبي و الجمعية الخيرية بقسنطينة، أسسها وترأسها الشيخ ابن باديس. وتولد عن هاتين الجمعيتين نوادي و مؤسسات تعليمية تنضوي تحتها، تتقدمها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و هي أهم الجمعيات الوطنية و خير جمعية أخرجت للجزائر في تاريخها الحديث، و عملت على إخراجها من الظلمات إلى النور، و من الجهل إلى العلم، و من التقليد إلى التجديد ومن

[1]- زرمان محمد، مرجع سابق، ص:292.

[2]- المرجع نفسه، ص:292.

العبودية إلى الحرية... و قد سبقت تلكم النوادي أو واكبتها نواد أخرى منها :نادي الشبيبة الجزائرية بتلمسان، و النادي الإسلامي، اللذان يعدان منبرا للدعوة. و نادي صالح باي بقسنطينة، الذي كان يؤمه الشيوخ من الجيل الماضي، أمثال عبد القادر مجاوي و أبو القاسم الحفناوي. ونادي الإرشاد تأسس بسطيف سنة 1936 برئاسة فرحات عباس و كان يخدم السياسة والإصلاح معا .ونادي الأخوة في شرشال ونادي الشبيبة و النادي الإسلامي في العاصمة ونادي ابن باديس ونادي الهدى في قسنطينة ونادي الإصلاح ببجاية ونادي الإخاء ببسكرة وغيرها من النوادي التي انتشرت في كل مدينة وقرية وكان أغلبها تابعا للكشافة الجزائرية. وقد كان لهذه النوادي ما كان للجمعيات التابعة للحركة الإصلاحية من الأثر الكبير في نشر الوعي الديني والشعور الوطني والتكوين المعرفي[1].

ثانيا: نتائـــج أعمال الجمعيـــة

لقد قامت الجمعية بناءا على أهدافها ووسائل تحقيقها بثورة فكرية هيأتها الرأي العام وغيرت فكره وعقليته في كثير من عاداته ؛ وأعمال الجمعية كثيرة جدا قد وقف أعلامها على بعض نتائجها في حياتهم و لم يشاهدوا النتائج الأخرى التي جنتها وحققتها، يصف أحد أبناء أعلامها تلك الإنجازات البطولية بقوله: إن جمعية العلماء قد أحيت الجزائر وبعثت فيها عروبتها التي كادت أن تغيب وإسلامها الذي كاد يقضى عليه.

ويمكن توزيع هذه النتائج والأعمال على الميادين التالية[2]:

أولا: الميدان الديني الثقافي التربوي

أ-كونت جيلا آمن بدينه وأنه منبع عزه ومخلصه من مشكلاته فاتخذه شعارا له في كل أعماله.

ب- أحيت دين الأمة الذي كان على وشك الضياع وحاشا لله أن يضيع دينه، حيث التصقت به شوائب ليست منه فشوهت صورته وأبطلت فعاليته وعطلت مقاصده وتولى كبر الجريمة الشنيعة بعض الطرق الصوفية التي اتخذته وسيلة للتكسب وإشباع الغرائز ما جعلها تخطئ طريق التجديد فيه وبعث التدين في النفوس وإعماله في الواقع، فالجمعية أعادت سلطانه في النفوس وخّلصته من قبضة الاستعمار وبسط نفوذه عليه حيث أفسده وأفسد أتباعه من قبل بسياساته الماكرة التي عمل من خلالها على إبعاده من حياة الناس وانشغالاتهم.

---

[1]- عمارة حياة، مرجع سابق، ص: 44.

[2]- صديقي بوبكر، ***البعد المقاصدي في فتاوى أعلام جمعية العلماء المسلمين – دراسة من خلال جريدة البصائر 1935–1956***، مذكرة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2011، ص: 18- 19.

ج- جاهدت بالقول والعمل على فتح باب الاجتهاد في الدين بضوابطه وشروطه، إيمانا منها أنه ضرورة حتمية لمواكبة تطورات العصر والمكان وإيجاد الحلول للقضايا المستجدة.

د- أقامت توازنا على المستوى الثقافي الحضاري الذي يؤدي بدوره إلى التوازن على المستوى السياسي، وذلك من خلال نشاطاها الكثيرة والمتنوعة في كل القطر الجزائري وحتى خارجه.

ه- أحيت اللغة العربية في الأقلام والألسنة، وفضلها في ذلك لا ينكر وتوج بعضوية رئيسها الثاني في مجمع اللغة العربية، أكبر هيئة تعنى بشؤون لغة القرآن.

و- غيرت مجريات الأحداث في الساحة الدينية بأن أضحت مرجعية غالب القطر الجزائري.

ز- وقفت سدا منيعا للإلحاد بأن أظهرت محاسن الدين ومقاصد الشريعة وامتثلت لها.

ح- حافظت على دين الأمة حفظا أمينا بما أصدرته من فتاوى زاجرة عن التجنس وزواج الكتابيات حيث خشيت من خلالهما تمهيد الطريق لردة المسلمين وأولادهم عن دينهم بقوة القانون الفرنسي الأجنبي، ولقد أبلت بلاءًا عظيما في صد عدوان المبشرين الانتهازيين.

ط- أنشأت نهضة علمية تعليمية في النوادي لا يعلم لها مثيل في التاريخ المعاصر من بناء المدارس الحرة والمساجد والنوادي.

ي- أعادت التربية الإسلامية إلى عملها المنتظر منها في النشء.

ك- حركت التاريخ الإسلامي في نفوس المثقفين بعد أن ظل راكدا ساكنا قرونا، وأبانت عن طرق الاستفادة منه ليخدم قضايا الأمة الجوهرية.

ل- هدمت صرح الجهل وبنت حاضرة العلم في العقول والنفوس على نطـــاق واسع في طبقات الأمة ما جعل الحياة الفكرية تنتعش في الساحة تمهيدا للاستقلال العلمي الذي يبنى عليه الاستقلال الأرضي الوطني ، فالأول استقلال سيادي، وهو دعامة كل تحرر.

م- مهدت للحضارة والنهضة الجديدة المعاصرة وغرست نواتها في الأمة، فما جنته الجزائر من أعمال وثمرات بعد الاستقلال وقد يكون حتى اليوم إن هو إلا أثر ونتيجة بعيدة المدى من أعمال الجمعية.

ن- خدمة القرآن والسنة بالدعوة إليهما وتفهمهما والعمل بهما والتحاكم إليهما.

ثانيا: الميدان الاجتماعي

أ- قضت بفضل من الله على كثير من الآفات المهلكة من الزنا وشرب الخمـــر وحدت من شيوعها، فحفظت شرائح المجتمع الحساسة من التفكك والانحلال الذي من شأنه أن يؤخر الاستقلال أعواما وقرونا.

ب- أزالت شك النسب الذي خيمته فرنسا على عقول كثير من الناس، فقد أقنعت بعض ضعاف الشخصية أن البنية السكانية التي كانت عليها الجزائر أيامهم ينذر بخطر على من سمتهم السكان الأصليين من البربر، فأرادت بذلك إحداث الفجوة بينهم وبين العرب، فانتصب لهذه السياسة الخطيرة الشيخان ابن باديس والإبراهيمي وفندوا شبه العنصريين المدعومين من الاستعمار، وأقاموا على ذلك الحجج من التاريخ، واستطاعوا أن يرأبوا الصدع الحاصل، بأن جمعوا في جمعيتهم العناصر السكانية الجزائرية من عرب وبربر، وعمل الكل في سبيل تحرير الأمة ماديا ومعنويا، وعادت اللحمة بين تلك العناصر وانهارت بحمد الله سياسة الظهير البربري الاستعمارية على عتبة إخلاص رواد الجمعية ونبل أهدافهم.

ج-كانت السباقة في تجسيد فكرة الوطن الجزائري الشامل بمشروعها الإصلاحي.

د- بعثت روح الأمل في المجتمع ودفعت الناس على العمل والتكسب الحلال، بعد أنهكتهم الروح الانهزامية سنين وعقود[1].

هـ- قضت على عادات اجتماعية سيئة الأثر خطيرة الضرر أعاقت الأمة على العيش في سعادة وهناء كعادة الغلاء في المهور والطلاق.

ثالثا: الميدان السياسي

أ- صححت مفهوم السياسة وحددت أركانها وأبانت عن معالمها الشرعية وشروطها لمن أراد دخول مضمارها، وضربت في الميدان المثال الصحيح للسياسي الناجح.

ب- سطرت خطة سياسية حكيمة مآلها الاستقلال، حيث كان مبناها على إحياء وتكوين مقومات الأمة من جنس ولغة ودين وعادات صالحة وتقاليد صحيحة وفضائل أصيلة، فخدمت هذه المقومات إيجادا وتصحيحا وتقويما، فأفهمت الساسة نظريا وعمليا طريق الوصول إلى الغايات.

رابعا: الميدان الاقتصادي

ساهمت في بعث الاقتصاد وتحريره من يد المستعمرين، ودعت إلى توحيد الجهود ، وتكوين مؤسسات اقتصادية تكون نواة انطلاق اقتصاد كبير في المستقبل وتكللت تلك الجهود بشركة " أعمال".

خامسا: الميدان العمراني

أ- بنت المساجد الكثيرة.

[1]- صديقي بوبكر، مرجع سابق، ص:20.

ب- شيدت المدارس الحرة في كل أنحاء الوطن.

ج- سنت فتح النوادي وتعميرها بعد أن لم تكن.

فالجمعية واجهت الاستعمار في كل درب سلكه، تصلح ما أفسده أو أراد إفساده فأعادت للجزائر شخصيتها وإسلامها وعروبتها وقوميتها في أحلك الظروف وأصعب الأوقات التي مرت على بلد الجزائر[1].

المبحث الثالث: الصحافة الإصلاحية ودورها الدعوي

ما إن قام دعاة وعلماء الإصلاح في الجزائر بحملتهم الإصلاحية الشاملة مدة من الزمن حتى تنبهوا إلى الدور الخطير والمهم الذي يمكن أن تلعبه الصحافة في الخروج بالدعوة الإصلاحية التي شرعوا فيها من حدود المدن التي كانوا يمارسون فيها دعوتهم، إلى مستوى جمهور الوطن الجزائري كله. فكانت الصحافة بحق من أمضى الأسلحة التي حاربت بها الحركة الإصلاحية خصومها ونشرت من خلالها أفكارها، وبالرغم من التضحيات المادية الجسيمة التي قدمها أصحابها، وملاحقة القوانين الاستثنائية لهم، بل بالرغم من تعرضهم أحيانا للتضييق والاعتقال، الا أنها كانت دائما في نظرهم من أهم الوسائل في إرجاع الناس وربطهم بدينهم الصحيح، و من أهم الوسائل في إيقاظ الهمم وتحفيز النفوس لطرد المستعمر الفرنسي.

المطلب الأول: الصحافة الإصلاحية في الجزائر

أولا: ظروف نشأتهـــا

إن الصحافة العربية في الجزائر كانت تعاني من الواقع الاجتماعي والسياسي الشاذ الذي فرضه الاستعمار الفرنسي على الجزائر، ومن ثم كان على هذه الصحافة أن تعيش في صراع أبدي في سبيل حياتها وتناضل باستمرار لتشق طريقها. فقد كانت تواجه في آن واحد مستعمرا حقودا يهددها بخنق الأنفاس كلما حلا له أن يفعل ذلك، وشعبا أميا جاهلا لا يمد لها يد المساعدة الأدبية بل المادية إلا في أندر الحالات، وطرقيين متعصبين، وجامدين متزمتين، رانت على قلوبهم غشاوة من نسيج قرون الانحطاط، فخذلوا الناس عنها، وسعوا لدى الدوائر الحاكمة ضدها بالوشاية وعقبات فنية وإدارية عديدة، تبدأ من رخصة الامتياز التي لا يحصل عليها الأهالي إلا بعد طول تدلل واستجداء، وتنتهي بندرة وسائل الطباعة العربية أو فقدانها.

[1]- صديقي بوبكر، مرجع سابق، ص:21.

بدأت الصحافة العربية في الجزائر بداية استعمارية بحتة، وكانت جريدة "المبشر" أول ما عرف الجزائريون في عالم الصحافة العربية ، حيث اتخذت السلطات الاستعمارية هذه الصحيفة الرسمية ليطلع الجزائريون في صفحاتها على التعاليم والقوانين الصادرة من الولاية العامة، ولتخذل بها الروح الثورية المقاومة التي ما زالت تتقد بها قلوب الوطنيين.

وفي سنة 1881 أصدرت الحكومة الفرنسية قانونا بشأن حرية الصحافة بفرنسا يقول:" إن كل جريدة أو نشرة دورية يمكن أن تكون موزعة على الجمهور بدون رخصة مسبقة، أو كفالة مادية" ونصت المادة 69 من هذا القانون ليكون نافذ المفعول في الجزائر أيضا[1].

ولكن ما إن صدرت أول جريدة عربية عن مصدر غير حكومي حتى انتهكت حرمة هذا القانون في وضح النهار، وكان هذا الإجراء التعسفي قد اتخذته السلطات الحاكمة ضد جريدة "المنتخب" الصادرة بقسنطينة بعد ثمانية أشهر من صدور القانون السابق الذكر.ثم اتخذته إجراءا تعسفيا ضد كل جريدة تصر باللغة العربية أو تتجرأ على المطالبة بحقوق الأهالي.

وعند اندلاع الحرب الكبرى منعت السلطات الحاكمة بالجزائر إصدار الصحف العربية منعا باتا، كما حرمت دخول الجرائد العربية وفرضت عليها رقابة مشددة فعاش الجزائريون خمس سنوات كاملة محرومين من الاتصال بالعالم الخارجي إلى أن جاءت سنة 1925م وبدأت الصحافة الإصلاحية واتخذت لها من جريدة "المنتقد" منبرا رسميا، وتعززت بجريدة أخرى هي "الجزائر" ولكن الاستعمار كان يترصد أمثال هاته الصحف ويكبت أنفاسها.

وشهدت الصحافة العربية في فترى تولي (موريس فيوليت) هدنة مؤقتة وصدرت في فترة حكمه كثير من الصحف العربية منها: صدى الصحراء، الشهاب، وادي ميزاب، البرق، البلاغ الجزائري، الإصلاح..حيث راحت تؤدي رسالتها في سير حثيث إلى أن أبعد الوالي عن الولاية العامة وخلفه "بيار بورد" المتعصب الذي أوقف كل الصحف المتقدمة فلم يبق منها سوى " الشهاب" و" البلاغ الجزائري".

إضافة إلى هذا كله نجد أيضا أن الأمة الجزائرية لم تمد يد الإنقاذ والمساعدة للصحافة العربية الجزائرية ولا انتصروا لها بالحماية والمؤازرة ولكنهم أثقلوا ظهرها بحمل من المشاكل المادية، من خلال المماطلة في دفع واجب الاشتراكات. ومن الأسباب الرئيسة التي جعلت الأمة الجزائرية تقابل

[1] – ناصر محمد، ***المقالة الصحفية الجزائرية نشأتها، تطورها، أعلامها من 1903إلى 1931***، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائـــر، المجلد الأول، 1978م، ص: 41.

صحافتها بهذا البرود شيئان: الأمية المتفشية في جميع الأوساط، ثم نفوذ رجال الطرق ورجال الدين المتزمتين الذين كانوا يحرمون قراءة الجرائد.

كما لا يمكن إغفال العقبات الفنية المتواجدة آنذاك من فقدان الطباعة أو ندرتها فإنه حتى سنة 1930 كان لا يوجد بالجزائر كلها سوى خمس مطابع عربية فقط، مما دفع أصحاب هذه الصحف إلى تحمل المشاق العظيمة في هذا السبيل فعمر راسم كان يقوم وحده بأعباء جريدته "ذو الفقار" يحررها، ويرسم صورها، ويقوم بطبعها حجريا، وكذلك كان يفعل عمر بن قدور، أما أبو اليقظان فكان يبعث بأصول جريدته "وادي ميزاب" لتطبع في تونس[1].

تلك هي الظروف القاسية التي اكتنفت الجريدة العربية في الجزائر منذ نشأتها.

ثانيـــــا: أعلامهـــــا

عمر راسم 1883 - 1959م: عمر راسم بن علي بن سعيد بن محمد البجائي :صحفي، خطاط كبير اشتهر بخطه العربي الجميل ومقدرته في رسم المنمنمات، من الرعيل الأول في الإصلاح والكفاح. ولد بمدينة الجزائر وتعلم بكتاتيبها، ثم اعتمد على نفسه فتعلم العربية والفرنسية. عرف منذ صباه بأفكاره الإصلاحية، وكان من أوائل الجزائريين المعتنقين لمذهب الأستاذ الإمام محمد عبده الإصلاحي، والداعين إليه. أنشأ جريدة " الجزائر" في 17 أكتوبر 1908، ثم جريدة "ذو الفقار" في 25 أكتوبر سنة 1913. وكان اسمه المستعار "أبو المنصور الصنهاجي." سجنه الفرنسيون في الحرب العالمية الأولى فلاقى المحن الشديدة في سجنه. قال الأستاذ أحمد توفيق المدني: " وهو ممن كبوا على يد الاستعمار القاسي نكبة سوداء أثرت على البقية الباقية من حياته .. ". من آثاره "تفسير القرآن الكريم" كتبه في سجنه كتب عمر راسم القرآن بخط يده، وطبع بالمطبعة الثعالبية لصاحبها قدور رودوسي، وهي أول مطبعة بالحروف العربية يؤسسها جزائري في الجزائر، وقد أصبحت طبعة الثعالبية هي المعتمدة في الجزائر وكثير من دول أفريقيا ، و "تراجم علماء الجزائر" ومقالات كثيرة في الاجتماع والسياسة والفن توفي بمدينة الجزائر[2].

عمر بن قدور الجزائري 1886 - 1932م: صحفي، كاتب، شاعر، من رواد الصحافة العربية الوطنية في الجزائر، عرف باتجاهه السلفي الإصلاحي. من أهل مدينة الجزائر، وبها نشأ وتعلم. أنشأ جريدة

[1] – ناصر محمد، ***المقالة الصحفية الجزائرية***، مرجع سابق،، ص: 45.

[2] – نويهض عادل، ***معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر***، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ج1، ص: 243.

"الفاروق" في 28 فبراير سنة 1913، وعني بالقضايا التي تهـــم المسلمين في العالمين، العربي والإسلامي، فنشر مقالات في صحف مصر والآستانة عاصمة الخلافة، فأخذ عليه الاستعمار الفرنسي نزعته التركية الإسلامية وصادر جريدته الفاروق ونفاه إلى الأغواط، حيث ظل معتقلا حتى نهاية الحرب العالمية الأولى. وفي سنة 1920 حول جريدة الفاروق إلى مجلة، وأصدر العدد الأول منها في 8 أكتوبر من العام نفسه. ثم اعتزل الصحافة وآوى إلى شبه عزلة صوفية. قال صاحب تاريخ الصحافة العربية: "يعد هذا الأديب من أكتب الصحافيين في المغرب الأوسط وأرقاهم ." من آثاره "الإبداء والإعادة في مسلك سائق السعادة" في التصوف[1].

الشيخ عبد الحميد بن باديس 1889- 1940م: ولد عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي بن باديس في سنة 1308هـــ ديسمبر 1889م فكان الولد البكر لأبويه وأسرته أسرة قسنطينة مشهورة بالعلم والثراء والجاه، وكانت منذ القدم ذات نفوذ ومسيرة للسياسة والحكم في المغرب العربي ونبغ من هذه الأسرة شخصيات تاريخية لامعة منها بلكين بن زيري والمعز بن باديس. حفظ ابن باديس القرآن على الشيخ محمد المداسي وأتم حفظه في السنة الثالثة عشرة من عمره، عين له والده معلما وهو الشيخ حمدان لونيسي فتعلم على يديه مبادئ اللغة العربية والمعارف الإسلامية الأولى، كما كان له تأثير كبير على نفسه.

سافر إلى تونس سنة 1908 وسنه آنذاك 19 عاما وانتسب إلى جامع الزيتونة عرف بالجد والنشاط حيث أخذ الثقافة الإسلامية الغربية على يد كبار علماء الزيتونة، وكان أكثر اتصالا وتأثرا سواء في تكوينه وشخصيته واتجاهه العقلي إنما كان بالشيخ محمد الطاهر بن عاشور، والشيخ محمد النخلي، وتخرج بشهادة التطويع سنة 1911،وعمره 23 سنة وعلم فيه سنة واحدة على عادة المتخرجين في ذلك الوقت. لما عاد ابن باديس من تونس أخذ في إلقاء الدروس بالجامع الكبير ثم سافر بعدها إلى بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج وللقاء شيخه حمدان لونيسي الذي كان مجاورا، وأتيح له أن يتصل في رحلته هذه بأطراف من العالم الإسلامي في المشرق وبجماعة من المفكرين والعلماء من مختلف أنحاء العالم الإسلامي[2]. حيث عرج ابن باديس في طريق العودة على مصر وقابل عددا من العلماء وأخذ عن بعضهم، كما تعرف على مدرسة الإصلاح خاصة الشيخ محمد رشيد رضا وجماعته ولما نزل بقسنطينة سنة 1913، اشتغل بالعمل التربوي، حيث اجتهد ابن باديس في مجالات التدريس

[1]- المرجع نفسه، ص: 243- 244 .

[2]- الطالبي عمار، ***آثار ابن باديس***، الشركة الجزائرية، الجزائر، المجلد الأول، ص: 72.

والتعليم المتاحة، فدرس الصغار والشباب والكبار، وأقام دروسا عامة في المساجد، وشملت دروسه لاحقا الأدب والتاريخ والجغرافيا، لما لهذه المواد من أهمية في تشكيل الآراء والتوجهات.

اهتم ابن باديس بالصحافة وأدرك مبكرا أهميتها وضراوتها كسلاح ضد مخططات المستعمر الفرنسي الرامية إلى محو الشخصية الوطنية الجزائرية، وهكذا أصدر عدة صحف ومجلات رغم مضايقات الإدارة الفرنسية، ومن هذه الصحف والمجلات: الشهاب، المنتقد، إضافة إلى دوره في إصدار وإدارة صحف جمعية العلماء، وأبرزها جريدة البصائر.

توفي عبد الحميد ابن باديس مساء الثلاثاء 8 ربيع الأول 1359هـ-16 أفريل 1940م ودفن في روضة أسرته بحي الشهداء قرب مقبرة قسنطينة [1].

الشيخ أبو اليقظان 1888 - 1973م: هو إبراهيم بن عيسى بن يحيى بن داود، أبو اليقظان صحفي، كاتب، شاعر، من رجال الإصلاح والتجديد، له اشتغال بالتاريخ والتراجم والفقه. ولد بمدينة القرارة جنوب الجزائر، وتعلم بها وببني يزقن، ثم التحق بجامع الزيتونة بتونس سنة 1912 حيث كان رئيسا لأول بعثة علمية جزائرية بها حتى سنة 1925م. أصدر ثماني جرائد عربية في الفترة بين 1926-1928 فأغلقها الاستعمار الفرنسي واحدة تلو الأخرى، وأولى هذه الجرائد "وادي ميزاب " التي صدرت في 1-10-1926 . وفي سنة 1957 أصيب بالشلل، فاعتكف في بيته، بالقرارة، إلى أن توفي سنة 1973. من آثاره "سلم الاستقامة " في الفقه، سبعة أجزاء، و "سليمان باشا الباروني" جزآن، و "تاريخ صحف أبي اليقظان" و"ملحق السير " و"ديوان شعره " طبع الأول منه سنة 1932م[2].

ثالثا: أبرز الصحف الإصلاحية في الجزائر

أ- صحافة ابن باديس:

1- المنتقـــد: جريدة أسبوعية سياسية تهذيبية انتقاديه، صدرت بمدينة قسنطينة في الثاني من شهر جويلية 1925، وقد أسسها وترأس تحريرها عبد الحميد ابن باديس، وأسند إدارتها للسيد بوشمال

[1] – المرجع نفسه، ص: 88.

[2] – نويهض عادل، مرجع سابق، ج 1، ص: 356 .

محمد[1]، وقد دلت منذ بدايتها على خطتها الإصلاحية، شعارها "الحق فوق كل أحد، والوطن قبل كل شيء" وتعد المنتقد الجريدة العربية الأولى في الجزائر التي جمعت الأقلام الإصلاحية المتمثلة في الشباب العربي المثقف الذي تلقى تكوينه في جامع الزيتونة والأزهر، ومعاهد الشام والحجاز، بعد الحرب العالمية الأولى وهدفهم المشترك يتمثل في الإصلاح الداخلي كسبيل لإصلاح شامل.

تبنت جريدة المنتقد الإصلاح الديني وأولته عناية فائقة، فاتجهت بأسلوب واضح في محاربة البدع والخرافات التي كانت ترى أنها من ترويج الطرقية، كما قاومت أفكار الفرنسة والتغريب التي كان الاستعمار ينشرها في أوساط الجزائريين. إن المتصفح لبعض أعداد هذه الجريدة يكتشف من خلال مقالاتها أنها تهدف إلى توعية الجزائريين بحقيقة وضعيتهم الفكرية والاجتماعية مقارنة بسائر الأمم، فكانت تلفت انتباههم بأنهم أمة لها قوميتها ولغتها ودينها وتاريخها[2]. فالمنتقد تعتبر تحولا مهما في تاريخ الحركة الفكرية والأدبية في الجزائر، لأنها تتميز عن الصحف التي سبقتها أسلوبا ولغة وأفكارا إذ استطاع ابن باديس أن يضم إليها خيرة الأقلام في الجزائر آنذاك مثل امبارك الميلي، والطيب العقبي، وأبي اليقظان ومن الشعراء محمد العيد آل خليفة، ومحمد الهادي السنوسي الذي يعتبر شاعر المنتقد[3].

مما لاشك فيه أن لهجة المنتقد ضد أفكار الفرنسة والتغريب وضد البدع والخرافات كان وراء قرار منعها من النشاط بعد أن دامت أربعة أشهر، أصدرت خلالها ثمانية عشرة عددا[4].

2- الشهـــاب: ما إن توقفت جريدة المنتقد عن الصدور بقرار من الإدارة الفرنسية حتى خلفتها صحيفة الشهاب لمؤسسها عبد الحميد ابن باديس وسارت على نهج سابقتها مبدءا وأفكارا، شكلا ومضمونا، صدر العدد الأول مها في 12 نوفمبر 1925، وكانت تحمل نفس شعارات المنتقد. بدأت الشهاب كجريدة أسبوعية ثم تحولت إلى الصدور مرتين كل أسبوع، وفي سنتها الرابعة لحقت بها أزمة مالية كادت تعطلها عن النشاط فتحولت إلى مجلة شهرية، وفي هذا يقول ابن باديس "..لقد غالبته الظروف بمالها من قوة وسلطان، وقد قاومها بما له من حق وإيمان، ولو حاربته بغير ذلك لخرج

---

[1]- ناصر محمد، ***الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954***، ط2، ألفا ديزاين، قصر المعارض -الصنوبر البحري- الجزائر، 2006، ص:58.

[2]- مجلة الشهاب، ج1، م11،1أبريل1935.

[3]- سعد الله أبو القاسم، ***تاريخ الجزائر الثقافي، 1830- 1954***، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ج4، ص: 253.

[4]- ناصر محمد، ***الصحف العربية الجزائرية***، مرجع سابق، ص: 61.

كعادته غالبا منصورا، ولو أراد الاستكثار من هذا السلاح من كل وجه، لكان موفورا، لكنه عف وتكرم فكانت الغلبة علية ...لا تستطيع الظروف تكييفنا بإذن الله إتلافا".

وتعتبر الشهاب مجلة وطنية إصلاحية دعت إلى جمع الشمل والوحدة، كما دافعت عن الإسلام واللغة العربية والعدالة والحرية، وقد كان لها تأثيرها على الجزائريين والفئات المثقفة ثقافة عربية خارج الجزائر، بفضل استمرارها والمكانة التي كان يتمتع بها رئيس تحريرها، ورغم ما لاقته الشهاب من عناء ومضايقات، إلا أنها واصلت عملها، تشتد مرة في لهجتها وتلين مرة أخرى حسب الظروف، فقد استطاعت خلال أربعة عشرة عاما أن تحدث تأثيرا عميقا في الصحافة العربية بالجزائر في فترة ما بين الحربين...وقد صدرت الشهاب دون توقف من سنة 1925 إلى أن اندلعت الحرب العالمية الثانية سنة 1939، عندها صدر أمر من الوالي العام بتعطيل عدد شهر أوت 1939، وتوقيفها عن النشاط[1].

ب- صحافة جمعية العلماء المسلمين

1- السنة النبوية المحمدية: تعتبر أول جريدة تصدرها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لتكون لسان حالها، وقد ظهر العدد الأول منها بمدينة قسنطينة، وهو مؤرخ يوم الاثنين 08 ذي الحجة 1351هجرية ولم يكتب التاريخ الميلادي، وبعد أسبوعين صدر العدد الثاني منها، وبداية منه بدأت الجريدة تصدر كل يوم اثنين بانتظام وجاء شعارها الآية القرآنية، قوله تعالى" **لقد كان لكم في رسول الله قدوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا**"[2] وحديث نبوي في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم " من رغب عن سنتي فليس مني" وكانت الجريدة تطبع بالمطبعة الإسلامية الجزائرية بقسنطينة في ثماني صفحات ويرأس تحريرها العقبي والزاهري تحت إشراف عبد الحميد ابن باديس [3].

ولعل ما يوضح لنا هوية الجريدة وأهدافها هو ما جاء في بعض مقالاتها، ففي افتتاحية العدد الأول يقول ابن باديس " عملنا نشر السنة النبوية المحمدية، وحمايتها من كل ما يمسها بأذية، وخطتنا الأخذ بالثابت عند أهل النقل الموثوق بهم، والاهتداء بفهم الأئمة المعتمد عليهم، ودعوة المسلمين

[1] – ناصر محمد ، ***الصحف العربية الجزائرية***، مرجع سابق، ص: 64- 68.

[2] – سورة الأحزاب، آية21.

[3] – جريدة السنة النبوية، السنة الأولى، العدد الأول، ذي الحجة 1351هـ ، ص:1.

كافة إلى السنة النبوية المحمدية دون تفريق بينهم، وغايتنا أن يكون المسلمون مهتدين بهدي نبيهم في الأقوال والأفعال والسير والأحوال..." [1].

رغم الليونة التي أظهرتها جريدة السنة في محاولة منها لإبعاد أنظار الإدارة الفرنسية، كما ورد في افتتاحية العدد الثاني وبالبند العريض" لسنا أعداء لفرنسا ولا نحن نعمل ضد مصلحتها، بل نعينها على تمدين الشعب وتهذيب الأمة ونساعدها"، إلا أن السلطات الاستعمارية أصدرت قرارا مؤرخ ب22جوان 1933 يقضي بتعطيل الجريدة دون محاكمة.

2- الصـــراط الســـوي: بعد تعطيل جريدتي السنة والشريعة من طرف الإدارة الفرنسية، أصدرت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين جريدة أخرى باسم " الصراط السوي" ظهر العدد الأول منها في 11 سبتمبر 1933، كامتداد للصحيفتين السابقتين، إذ حافظت على نفس الطاقم الإداري، ومصدر ومكان الصدور[2]، وحملت الجريدة شعار الآية الكريمة :"**قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى**"[3] وهو دليل على إصرار جمعية العلماء المسلمين مواصلة نشاطها ورسالة تحدي للمتربصين بها.

واصلت الجمعية ثباتها الراسخ على مبادئها في نشر العلم والفضيلة ومحاربة الجهل والرذيلة، من خلال نشاطها الصحفي، لكن ما إن صدر العدد 17 من جريدة الصراط المؤرخ في 8 جانفي من سنة 1934، حتى منعت من الصدور بقرار من وزارة الداخلية ، وهكذا توقفت جريدة الصراط السوي بعد أن عاشت قرابة الأربعة أشهر، فمثل هذا المصير سيمس كل الصحف الحاملة لأهداف تهذيبية تثقيفية ...دون غيرها من الصحف الممجدة للاستعمار والخاضعة لسياسته التعسفية[4].

3- البصائـــر: تعتبر الصحيفة الرابعة التي أصدرتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ومن أهم وأكبر الصحف العربية في الجزائر شهرة وانتشارا لما تركته من أثر عميق في الحياة الوطنية، ويمكن الإشارة إلى أن البصائر ظهرت على مرتين: السلسلة الأولى صدرت ما بين 1935- 1939 ، والسلسة الثانية ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية ما بين 1947- 1956.

---

[1] – جريدة السنة النبوية، العدد الأول، مرجع سابق ، ص:8.

[2] – جريدة الصراط السوي، العدد الأول، سبتمبر 1933، ص:1.

[3] – سورة طه، الآية 135.

[4] – ناصر محمد ، ***الصحف العربية الجزائرية***، مرجع سابق، ص: 201.

بعد تعطيل كل من السنة ، الشريعة والصراط على التوالي صدر قرار يمنع الجمعية من إصدار أي صحيفة أخرى، ودام الأمر كذلك مدة سنتين كاملتين، غير أن الجمعية الإصلاحية اغتنمت فرصة رحيل "جان ميرانت" عن الولاية العامة المعروف بنزعته المعادية للإصلاح، ليتصلوا بالمدير الجديد "ميو" وعبروا عن أهداف جمعيتهم وهو العمل على تعليم الشعب لغته ودينه، وابتعادهم كليا عن السياسة، فرخص لهم بإصدار هذه الجريدة[1].

صدر العدد الأول من البصائر في السابع والعشرين من شهر ديسمبر من عام 1935، وأوكلت الجمعية إدارتها ورئاسة تحريرها في أول الأمر إلى الطيب العقبي، وصاحب الامتياز محمد خير الدين، وكان شعارها الآية الكريمة:"**قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ**"[2]، وكانت تطبع بالعاصمة بالمطبعة العربية التي يمتلكها أبو اليقظان، وهي ذات حجم متوسط من ثماني صفحات، وتحمل مواضيع مختلفة أدبية، دينية، اجتماعية، سياسية... [3].

ويظهر من خلال افتتاحية العدد الأول للبصائر، أن الجمعية عمدت إتباع أسلوب الليونة اتجاه الإدارة الفرنسية، في محاولة لتمرير أهدافها الإصلاحية، وبالمقابل وجهت رسالة إلى الأطراف المعادية لها على لسان رئيسها عبد الحميد ابن باديس في قوله " كونوا كما تشاءون أيها السادة – فلكم وانتم تمثلون ما تمثلون– كل احترامنا، وظنوا بنا ما تشاءون، فإنا على بصيرة من أمرنا، ويقين من استقامة خطتنا، ونبل غايتنا، ومهما تبدلت اعتقاداتنا في أناس بتبديل معاملاتهم لنا، فلن تتبدل ثقتنا بفرنسا وقانونها وخطتنا المستقبلية وهي نشر العلم والفضيلة، ومقامة الجهل والرذيلة..." [4].

اهتمت البصائر بالحركة الإصلاحية في مجالي الدين والمجتمع، ولم يكن الأمر مقصورا على الجزائر وحدها، فقد فتحت صفحاتها للأقلام المغاربية خاصـــة للإصلاحيين في كل من المغرب وتونس، كما امتدت انشغالاتها الإصلاحية عبر العالم الإسلامـــي وهكذا سارت البصائر سيرا منتظما، وبلغت من الرقي والانتشار ما لم تبلغه أي جريدة عربية في الجزائر، إذ كانت تطبع حوالي أربعة آلاف نسخة أسبوعيا في ظروف صعبة.

---

[1]– ناصر محمد ، ***الصحف العربية الجزائرية***، مرجع سابق ، ص: 212.

[2]– سورة الأنعام، الآية 104.

[3]– جريدة البصائر، العدد الأول، 27 ديسمبر1935،ص:1.

[4]– المرجع نفسه.

وبداية سبتمبر 1937 أصبحت البصائر تصدر في مدينة قسنطينة وتطبع بالمطبعة الإسلامية الجزائرية، يشرف على إدارتها ورئاسة تحريرها امبارك الميلي، واستأنفت سيرها كسابق عهدها، وما إن قامت الحرب العالمية الثانية حتى توقفت الصحيفة عن النشاط من تلقاء نفسها، وقد صدر منها 180 عددا، آخرها كان بتاريخ 25 أوت 1939، لتعود إلى الظهور في الثانية بعد الحرب العالمية الثانية وبالضبط في سنة 1947[1].

وبعد الحرب العالمية الثانية، وتحديدا في الخامس والعشرين من نوفمبر 1947 عادت البصائر للصدور من جديد وظلت كما كانت اللسان الناطق باسم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وصارت الإدارة بيد الشيخين محمد البشير الإبراهيمي ومبارك الميلي، وكان صدروها بالجزائر العاصمة، وتطبع بالمطبعة العربية التي يملكها أبو اليقظان واستمرت الجريدة في أداء رسالتها الإصلاحية والعلمية حتى قامت ثورة التحرير، وبعد أن بدأ الاستعمار في التضييق على كل ما هو عربي وطني قررت إدارة البصائر إيقاف الصدور وذلك في شهر أبريل 1956.

– دور جريدة البصائر في مشروع الجمعية الإصلاحي:

قامت البصائر بدور إصلاحي رائد وفق ما سطرته الجمعية لها حيث:

* وحدت بين جهود المصلحين ومدت روابط التعارف بين طلائع الإصلاح.
* عرفت بالدين الصحيح وفضحت وكشفت عوار الفاسد منه والضعيف.
* نفخت في نفوس الجزائريين في الداخل والخارج روح التضحية وأعادت لهم الأمل في النهوض من جديد.
* كانت منبرا لإحقاق الحق وإبطال الباطل وكشف مكائد أعداء الدين والوطن من المستعمرين والطرقيين والملحدين.
* أعادت للغة العربية مكانتها واعتبارها في وقت كاد أن يقضى عليها فكانت تصدر بلغة فصيحة ناصعة أعجب العالم بها وانبهر بعد أن كانوا يعتقدون أنها ماتت وحلت الفرنسية محلها.
* أيدت قضايا المسلمين في كل مكان من فلسطين وتونس والمغرب ومصر.
* أسمعت صوت الدين وبّلغته العالم، كما عرَفت بنكبة الجزائر عالميا.
* ساهمت في تحرير الوطن مساهمة كاملة شاملة وافية، تحريرا دينيا ولغويا وقوميا.

[1] – ناصر محمد ، ***الصحف العربية الجزائرية***، مرجع سابق، ص: 220.

و بالجملة خدمت الجريدة مبادئ الجمعية ونطقت بلسانها وبّلغت دعوتها فهي من أنفع وسائلها لأنها تصل إلى الناس جميعا التاجر في متجره والصانع في مصنعه والطالب في مدرسته ودخلت النوادي والملاعب، واصطحبها المقيم والمسافر، وطالعها الرجال والشباب والنساء[1].

ج- صحف أبو اليقظان

1- وادي ميزاب: صدر العدد الأول من صحيفة وادي ميزاب في غرة أكتوبر من سنة 1926 بالجزائر العاصمة، وقد جاء في افتتاحية عددها الأول ما يلي" جريدة وطنية إسلامية، باسم وادي ميزاب، تصدر مرة في كل جمعة بعاصمة الجزائر، وهي وإن كانت كلسان خال الأمة الميزابية إلا أنها قبل كل شيء لسان حال الفكر الإسلامي عموما، والجزائري خصوصا"[2]

عرفت الجريدة باتجاهها الوطني الإصلاحي، وقد انتهجت منهج الصراحة والوضوح في طرح ومعالجة المواضيع، وقد أعلن عن منهجها في إحدى افتتاحياتها " إن منهج الجريدة هو الصراحة والنزاهة والصدق والاصداق بالحق وخدمة الصالح العام، لا تعرف إلى التدجيل والمواربة، والتملق والكذب والنفاق سبيلا فهي تجتهد قدر المستطاع في إحقاق الحق، وإبطال الباطل، بكل إقدام وشهامة[3].

سارت الجريدة وفق خطة محكمة مستوحاة من واقع الأمة الجزائرية، غايتها توعية الجزائريين وبناء الشخصية الوطنية والتشبث بمقومات الأمة العربية الإسلامية، فخصصت محاورها لمواضيع تهدف إلى تكوين النشأ تكوينا صحيحا، أخلاقا وتفكيرا، وزرع القيم السلامية على نهج الإسلام ضمن الكتاب والسنة. كما استطاعت الجريدة أن تحافظ على انتظامها في النشاط إلى أن صدر في حقها قرار التعطيل من طرف الإدارة الفرنسية ولعل السباب التي ضاعفت من أتعابها، هو الاتجاه الذي اختارته والأهداف التي أعلنت عنها على صفحاتها، وحرارة لهجتها مع السلطات الاستعمارية، ومواقفها الثابتة اتجاه مختلف القضايا، وكانت القضايا نتيجة ذلك صدور قرار من وزارة الداخلية مؤرخ في 18 جانفي 1929 يأمر بتوقيف نشاط وادي ميزاب بمنع طبعها وتوزيعها وبيعها، كما حمل القرار تعطيل كل ما يصدر من صحف تسير على خطتها[4].

---

[1]- جمّال غنية، مرجع سابق، ص: 131.

[2]- جريدة وادي ميزاب، العدد الأول، 01 أكتوبر 1926، ص:1.

[3]- ناصر محمد، ***الصحف العربية الجزائرية***، مرجع سابق، ص: 80.

[4]- المرجع نفسه، ص:85.

2- ميـــزاب: بعد حوالي سنة من توقيف جريدة ميزاب، رفعت الإدارة الفرنسية قرار منع الكتابة الصحفية عن أبي اليقظان، فبادر بموجبه إلى إصدار جريدة باسم "ميزاب" وصدر العدد الأول منها في 25 جانفي 1930، وقد طبع في تونس، إلا أن الوالي العام "بورد" أمر بتوقيفها عن النشاط قبل أن تنتشر وتأخذ مكانة جريدة وادي ميزاب.

3- المغـــرب: صحيفة أسبوعية صدر العدد الأول منها في السادس والعشرين من شهر ماي 1930، وقد ظهر منها 32 عددا، طبع منها 26 عددا بالمطبعة الارشادية بالجزائر العاصمة، أما الأعداد الستة الأخيرة فقد طبعت بالمطبع العربية التي أسسها أبو اليقظان قي شهر فيفري من سنة 1931[1].

ونظرا للمراقبة التي تعرضت لها الصحف اليقظانية من طرف الإدارة الفرنسية، لجأ أبو اليقظان إلى إسناد إدارة الجريدة إلى مساعده " تعموت عيسى"، أما اهتمامات الجريدة فلم تختلف عن اهتمامات وادي ميزاب، وقد لوحظ في الأعداد الأولى منها اهتمامها بالمواضيع الاقتصادية، إلا أنها أولت أهمية كبيرة للقضية الوطنية، إذ صادف صدورها فترة الاحتفال المئوي الاستعماري لاحتلال الجزائر.

لكن نضال الجريدة لم يستثنيها الواقع المرير الذي عاشته الصحافة العربية الإصلاحية، فقد داهمت القوات الاستعمارية مقر المطبعة العربية بغرداية في السابع مارس 1931، وقامت بعملية تفتيش دقيقة علها تجد أدلة تدين بها القائمين عليها، ثم جاء قرار التعطيل أسبوع من بعد ذلك[2].

[1]- جريدة المغرب، العدد الأول، 26 ماي 1930، ص:1.

[2]- ناصر محمد، ***أبو اليقظان وجهاد الكلمة***، ط1، فهرس محتويات الجرائد، الجزائر، 1997، ص 26.

المطلب الثاني: الدور الدعوي للصحافة الإصلاحية

أولا– الدفاع عن الإسلام:

أ- محاربة الطرقية: كانت الجزائر قبل الحرب العالمية الأولى يسودها ظلام حالك من الجهـــل والفوضى، ويشل حركتها اعتقاد باطل من الخرافات والشعوذة التي غدت وكأنها قد نومت تحت تأثير طلاسم بعض الطرقيين، وشعوذة أدعياء التصوف وبات زمام الأمة بيد الأولياء وشيوخ الزوايا يستغلون عاطفتها الدينية استغلالا رهيبا. وأصبحت العقيدة الراسخة في نفوس العامة هي أن" من لا شيخ له فالشيطان شيخه" وعندما بدأت الحركة الإصلاحية المنظمة بزعامة عبد الحميد ابن باديس رأت أنه من الحكمة القضاء على نفوذ هؤلاء المشايخ أولا، حتى يتسنى للحركة الأخذ بزمام الأمة في الطريق السلفي الصحيح، وكان أمام رجال الحركة عدوان" أحدهما داخلي وهو الطرقية، والآخر خارجي وهو الاستعمار، فارتأوا أنه من السياسة الإجهاز على العدو الداخلي أولا حتى يضمنوا بذلك سلامة الجبهة من الداخل، وكانت عقيدتهم في الطرق كما يصفها أحد أقطاب الحركة بقوله:" إنها علة العلل في الإفساد، ومنبع الشرور، وإن كل متفش في الأمة من ابتداع في الدين، وضلال في العقيدة، وجهل بكل شيء وغفلة عن الحياة، وإلحاد في الناشئة فمنشؤه من الطرق، ومرجعه إليها".

وهكذا اتجه الشبان الاصلاحيون إلى الصحافة ينشرون فيها أفكارهم الإصلاحية، فطاردوا الانحراف الديني في كل زاوية، وتعقبوه في كل شبر من القطر الجزائري فتكونت منهم نخبة حول جريدة "المنتقد" جندت أقلامها لتخوض معركة من أشد المعارك القلمية التي قل أن شهدت الصحافة العربية الجزائرية لها مثيلا، فجاءت أسماء الصادرة في الفترة مابين (1925-1931) مجسمة لعنف هذه المعركة فكانت "المنتقد" و"الشهاب"و" الإصلاح" و"البرق" من أشدها تحاملا على الطرقية ومن أصلبها وقوفا أمام هجوماتها.

ب- التبشير المسيحي: كان التبشير إحدى الأدوات الفتاكة في سياسة الفرنسيين يخدرون به نفوس المسلمين الجزائريين المتأبية ليسهل لهم الإجهاز عليها، وفاق هذا الهدف الخطير زحف التبشير على الجزائر يخدم ركاب المحتلين ومكملا لشريعة العسف والجبروت متنكرا في ثوب كهنوتي حتى لا تحوم نظرات الارتياب والشك حول تحركاته، واتخذ له لباسا ملائكيا ظاهره التطبيب والمواساة والتعليم وأخفى تحت مسوحه دسائس شيطانية تستهدف تجريد المسلمين من مقوماتهم الشخصية المقدسة.

ظهر الكاردينال "لا فيجري" في الجزائر ليكون مؤسس التبشير بها سنة 1867وكانت هذه السنة من أشد السنوات هولا على المسلمين الجزائريين ولاسيما في الجنوب فقد التهمت الزرع والضرع ونشرت الوباء والمجاعة والموت في كل بيت واستغلها فرصة سانحة ليصدع برسالته فكان يطوف بالأنحاء التي فتك بها الجوع والمرض يحمل الصليب في يمينه والخبز والدواء في شماله، وجمع طائفة من الأيتام واليتيمات فرباهم في ظل الكنيسة وعلى دين المسيحية.

وفي سبيل غايتهم تلك توسلوا لتنصير أبناء المسلمين بوسائل التمويه والتضليل، وتذرعوا للوصول إلى عقيدة الناشئة بالتعليم والتطبيب ومواساة الفقراء والأيتام وإيواء الفاسات اللائي يطردهن المجتمع، وكان تركيزهم على الأطفال والنساء . ولكن هذه المجهودات العظيمة، والنفقات الباهظة باءت كلها بالفشل الذريع، ووجدت من المسلمين مقاومة صلبة، وحذرا متيقظا. [1] ويوضح لنا الشيخ البشير الإبراهيمي الأسباب الجوهرية لهذه الهزيمة المنكرة بقوله:" ..إن التبشير مع طول المدة واستكمال العدة لم يلق النجاح الذي يتناسب مع الجهود المبذولة فيه، والسبب الأكبر في ذلك يرجع إلى شيء واحد وهو تصلب الجزائري في دينه مهما بلغت به العامية والأمية والفقر."

رغم خطورة الموضوع غير أن الكتابات الصحفية فيه كانت قليلة خاصة في الفترة التي سبقت تأسيس جمعية العلماء المسلمين، وقد تفطن الإبراهيمي لهذه الظاهرة فعد سكوت العلماء عن محاربة التبشير من الأسباب التي جعلته ينتشر في الجزائر.

ج- الخلافة الإسلامية: إن الحدث الهائل الذي هز العالم الإسلامي من أقصاه إلى أدناه، هو تلك الضربة القاصمة التي انزلها الكماليون على عرش الخلافة يهدون أركانها بعنف، فقد آلم المسلمين أن يروا خليفتهم السلطان عبد المجيد بن عبد العزيز ملقى على أعتاب الأوربيين بعد أن طرده الأتراك شريدا مهينا، وأحسوا بخيبة أمل كبيرة حينما أصبح الساعون لتفكيك عرى "الجامعة الإسلامية" للبحث في هذه القضية، وكلما علق المسلمون بأحدها نجاحا وائتلافا، منوا من جرائها خسرانا وتفرقا وعندما بات أمر الخلافة لعبة بين أيدي المؤتمرين يحركهم الانجليز حينا، ويدفعهم هوى إقليمي حينا آخر نفض المصلحون الجزائريون أيديهم منها وكانت سنة 1931م بعد مؤتمر القدس سنة هذا التحول الخطير.

[1] – ناصر محمد، ***المقالة الصحفية الجزائرية***، مرجع السابق، ص: 137.

دخلت الصحافة العربية الجزائرية بكل زخمها تتبع تطورات القضية تتبعا دقيقا، وتنشر أخبارها باهتمام حريص. وقد استمرت تواكبها أكثر من عشر سنين، وفي سنة 1924 بعد أن أصبح أمر إلغاء الخلافة واقعا، وحديثا تتناقله الصحف العربية في كل مكان توالت مقالات الكتاب الجزائريين معبرة عن آرائهم بصراحة، وكلها خيبة أمل مريرة بوقوع هذا الحدث الكبير، وراحت تواكب تطورات المشكل وتراقب عن كثب تحركات الدول العربية الإسلامية في معالجة هذا الموقف [1].

ثانيا– الدفاع عن اللغة العربية: أدرك الاستعمار الفرنسي في الجزائر أنه لا سبيل لإبعاد الجزائري عن قرآنه إلا بانتزاع اللسان العربي من جوفه حتى لا يكاد يقرأه، و إن قرأه يكاد لا يعقله. فقد كانت بصماته تتجلى في (استعمار لغوي) يتمثل في مسخ لسان الإنسان الجزائري؛ الذي يبكي قلبه حين يريد أن يترجم عن خلجات فؤاده بالعربية، فيتعثر به اللسان فلا يملك إلا أن يلعن الاستعمار!!... ودافع الابراهيمي في (البصائر) عن اللغة العربية دفاعاً حاراً: "اللغة العربية في القطر الجزائري ليست غريبة، ولا دخيلة، بل هي في دارها وبين حماتها وأنصارها، وهي ممتدة الجذور مع الماضي مشتدة الأواصر مع الحاضر، طويلة الأفنان في المستقبل"

ثالثا– مناهضة الاستعمار:

أ- سياسة الإدارة الاستعمارية: تصدت الصحافة الجزائرية لمعالجة هذه القضية الحساسة حيث كانت ميزانا دقيقا يتحرك مؤشره حسب تغير السياسة الاستعمارية خفة وضغطا، صعودا وهبوطا، تفاؤلا وتشاؤما ، حيث جاءت مواضيعها بداية بالشكاوى من الحالة البائسة التي آل إليها أمر الأهالي تحت جبروت المعمرين، واستبداد المستعمرين، طلب التسوية في الحقوق بين الأهالي والفرنسيين لاسيما في التعليم، والتمثيل النيابي والعمل العمراني، وحرية حقيقية في التفكير والنشر، إضافة إلى المطالبة بالحقوق التي وعدت بها فرنسا المسلمين إبان الحرب العالمية الأولى.

ب- التجنيد: لعله لم يهز مشاعر المسلمين الجزائريين قانون، كما هزهم قانون التجنيد العسكري الإجباري، و لم يتدفق حماسهم ضد إجراء من إجراءات الاستعمار كتدفقهم ذلك الإجراء التعسفي الذي طوحت فيه الحوكمة الفرنسية بكل القيم الإنسانية. فهي في سبيل حماية أراضيها والدفاع عن بلادها راحت تجبر المسلمين الجزائريين على حمل السلاح ليطعنوا به إخوانا لهم في الدين، في مراكش والريف وبلاد الشام.

[1]– ناصر محمد، ***المقالة الصحفية الجزائرية***، مرجع سابق، ص: 177.

وبالرغم من أن معارضة الأهالي للتجنيد الإجباري بدأت منذ أن كان مشروعا يدرس سنة 1890م فإنه لم يظهر على أعمدة الصحافة الوطنية بصفة متبلورة إلا بعد أن أصبح قانونا موافقا عليه من طرف المجلس الوطني الفرنسي سنة 1912م، وقد يعود هذا إلى عدم ظهور صحافة وطنية تجرأ على نشر تلك المقالات قبل هذا التاريخ، وأية ذلك أن عمر بن قدور نشر بجريدة "الحضارة" الصادرة بالأستانة مقالا رائعا عن هذه القضية سنة 1911م، ويقول أحد الكتاب الفرنسيين بأن المظاهر التي عبرت عنها المعارضة الأهلية لهذا القانون من شغب في الشوارع وعرائض ووفود واختفاء كانت مؤيدة بحملة عنيفة قامت بها الصحافة الوطنية مثل جريدة "الحق الوهراني" و"الإسلام"و"الرشيدي"، ومن الذين وقفوا بصلابة تامـــة أمام قانون التجنيد وحاربـــوه محاربة شديدة، واعتبروه خطة تتنافى مع مقوماتهم من دين وجنس نجد عمر راسم، عمر بن قدور، الفرقد، أبو اليقظان[1].

ج- التجنيس: جاء هذا القانون الذي ينص على المسلم الذي يرغب في الحصول على حقوقه كمواطن، أن يتجرد من إسلامه قبل كل شيء وأن يبدل بالشريعة الإسلامية القانون المدني الفرنسي ليرتقي بعد ذلك من رعية مضطهدة إلى مواطن محترم ومن هذا القانون المدسوس على الإسلام في الجزائر بدأت قضية التجنيس.

وأمام هذا الخطر الذي كانت سهامه مصوبة ضد مقومات الشخصية العربية الإسلامية الجزائرية، قبل أي اعتبار آخر، راح الكتاب المصلحون يتصدون بأقلامهم للكشف عن هذه المناورات المدسوسة، ويحددون موقفهم الصريح منها وهو الرفض المطلق، والاستنكار الشديد، والدفاع بحماس، عن أعز ما يملكه الجزائري، وهو دينه وجنسيته، ولعل أروع ما يستشهد به في هذا المجال كلمة مأثورة قالها ابن باديس: "لا تتطور العلاقات وينمو الود، إلا إذا تعاملنا بصفاء على قاعدة أنت أنت وأنا أنا، أما أن تصبح أنت أنا وأنا أنت فذلك عين المستحيل".

رابعا– الدفاع عن قضايا الأمة العربية والإسلامية:

أ- التضامن الإسلامي: إن الإحساس النابض الذي كان يملأ جوانح المسلمين الجزائريين فيطبع تفكيرهم، وحياتهم بطابعه الخاص، هو شعورهم الفياض بأنهم ينتمون إلى العالم الإسلامي الكبير أولا وقبل كل شيء.

[1]– ناصر محمد، ***المقالة الصحفية الجزائرية***، مرجع سابق،، ص: 291.

هذا الذي نجده عند الذين كتبوا في الصحافة من المسلمين الجزائريين من الشعور المتوقد، والاعتقاد الراسخ بالانتماء إلى الوطن الإسلامي، ونراهم ينظرون إلى كل الأحداث التي كان يمر بها هذا الوطن في محنه القاسية من هذه الزاوية. وذلك الاعتقاد وهذه النظرة يدلان دلالة قاطعة على أن ارتباطهم بإخوانهم المسلمين، وتعلقهم بالتضامن معهم، لم يستبدل عندهم قط بأي شعور قومي آخر.

إن الحديث عن " القومية العربية" أو الدعوة إلى "التضامن الإسلامي" أو" الجامعة الإسلامية" لم يظهر على صفحات الجرائد العربية إلا مع ظهور الصحافة الوطنية، وكان ذلك على يد عمر بن قدور الجزائري صاحب "الفاروق"الذي يريد أن تكون "القومية الإسلامية" غاية تجمع المسلمين حول قاعدة الخلافة، أما كتابات أبو اليقظان فأراد بها أن يكون "التضامن الإسلامي" بين المسلمين شرقا ومغربا لغاية أخرى، وهي مقاومة الغزو الفكري الغربي والوقوف أمام جيوشه المتعددة التي تتمثل في المبشرين والملحدين والمستشرقين.غير أن الكتابة حول هذا الموضوع قد تكون من قبيل المجازفة، فإن الدعوة إلى مثل هذه الروابط الروحية في مفهوم الاستعمار الفرنسي تحريض على التمرد والانفصال وتطاول على فرنسا وهيمنتها على الشعب الجزائري وإن المآل الذي انتهى إليه عمر بن قدور منفيا في دار الغربة دليل على تخوفات المستعمرين من هذه الأفكار.

ب- قضايا الوطن العربي: إن الاهتمام البالغ الذي أولته الصحافة الوطنية في الجزائر لقضايا الوطن العربي والإسلامي يتجلى في تتبعها الدقيق لأحداثهما بصورة مستمرة، ويتجسد في الحرص الشديد في تلقط أخبارهما رغم بعد المسافة وانعدام وسائل الاتصال، ورغم محاولات الاستعمار الفرنسي المتكررة لعزل المسلمين الجزائريين عن إخوانهم بحرمانهم من الإمدادات الثقافية والإعلامية، التي كانت دفقة الحياة لهم في هذه الغربة الموحشة رغم ذلك فان الاستعمار لم يفلح قط في زعزعة عقيدتهم الراسخة بالانتماء إلى الوطن الإسلامي والعربي الكبير، ولا استطاعت أن تخمد لهيب الحنين المتوهج بين حناياهم شوقا لمعرفة أخباره، ومسايرة تطوراته، بل كانت نظرات الشوق المتحرقة تنفذ من بين الحجب الكثيفة والأسوار المضروبة، لتتعانق بنظرات الأخ هنالك، تارة على بريق الفرح أو الاستبشار، وأخرى لتتآسى على دموع الحزن والألم

ويمكن أن نقسم الأفكار التي عبرت عنها كتاباتهم إلى موضوعين:

- التعاطف مع الحركات السياسية في الوطن العربي والإسلامي.
- التنديد بالاستعمار والظلم والاضطهاد.

ج- قضية فلسطين: إن المعاملة القاسية التي كان يعامل بها اليهود المسلمين الجزائريين ولدت في قلوب الجزائريين كرها ونفورا، وعلمهم الاحتكاك بهم في الميدان الاقتصادي والاجتماعي أن يخبروا نفسيتهم الحاقدة، ويعرفوا طبعهم الماكر، هذا ما جعل الصحافة تكشف النقاب عن دسائسهم مصورين خطرهم الداهم على القومية والدين.فجاء الموقف المتشابه الذي جمع الكتاب الجزائريين في صعيد واحد، وهو موقف يتسم بالحذر من دسائس اليهود واليقظة الدائمة في التنديد بخططهم العدائية المبيتة ضد الإسلام والعروبة، سواء في ذلك كيدهم للمسلمين كأمة أو طمعهم في الأراضي المقدسة كوطن ويتجلى ذلك واضحا في صلابة موقف كل من عمر راسم في سنة 1914 حين رفض الحلول السلمية، كما يتضح في ملاحقة الزاهري لمؤتمرات الصهاينة في الجزائر أو في فلسطين ويتبن بشكل ملموس في تفسيرات توفيق المدني وأبي اليقظان لأطماع الصهاينة التوسيعية في فلسطين كما كشفت عنها حوادث حائط المبكى سنة 1929وما بعدها [1].

خامسا: الإصلاح الاجتماعي

أ- أخلاق المجتمع: استعمل الاستعمار الفرنسي في سبيل تحقيق أطماعه التوسعية سلاحين: غزو مادي وسيلته الإبادة الجماعية، وغزو أدبي وسيلته سموم المدنية الغربية حيث فتحت أبواب الحانات على مصرعيها في كل قرية ومدينة، وتساهلت في منح الترخيص لطالبيها في حين كانت تشدد في منحها لفتح مدرسة أو ناد، أما الدعارة فقد نشرتها كالوباء في كل حي دون مراعاة لحرمة الأوساط العائلية الشريفة ولا احترام لقدسية الأماكن الطاهرة.

غير أن هذه الأساليب الجهنمية لم يخف عن الكتاب الإصلاحيين أمرها فجندوا الأقلام لمحاربتها، بالإشارة إليها مرة وبالإفصاح عنها أخرى وبالتحذير من الرذيلة أحيانا أخرى لأنهم أدركوا تمام الإدراك أن التحرر من رقبة الاستعمار يبدأ من تحرير النفوس من هوى الشيطان، وان الشعور بالمميزات الشخصية العربية والإسلامية هي التي تحفظ للشعب ذاتيته فيجاهد في سبيل الحفاظ عليها خوف التلاشي والذوبان. فكانت الصحافة العربية الجزائرية عموما والإصلاحية خصوصا حارسا أمينا ومربيا حاذقا، ورائدا صادقا لا يكذب أهله لأنها حاربت الانحلال الخلقي، وقاومت الآفات الاجتماعية، وبنت الشخصية الجزائرية وأعدتها إعدادا وطنيا سليما.

[1] – ناصر محمد، ***المقالة الصحفية الجزائرية***، مرجع سابق،، ص: 381.

ب- المرأة المسلمة الجزائرية: إن الآفة الكبيرة للمرأة المسلمة الجزائرية هي الجهل، وهذا ما تبين من خلال الكتابات الصحفية المختلفة، وتعلل به التأخر المهول الذي كانت تعاني منه المرأة الجزائرية آنذاك.

جاءت نهضة المرأة الجزائرية متأخرة عن نظيرتها في المشرق التي بدأت بظهور كتابات رفاعة الطهطاوي ثم قاسم أمين في كتابه "تحرير المرأة"، حيث لم تبدأ بصفة واضحة إلا بعد 1930م وكانت دعوة التحرير صادرة من بعض الكتاب ذوي النزعة المتفرنسة، وقد تطورت المعالجة الصحفية لقضايا المرأة المسلمة الجزائرية بعد الحرب الكبرى تطورا ملموسا وظهرت جوانب جديدة لم تكن معروفة من قبل مثل: التركيز على التعليم الديني ومقاومة التعليم الإفرنجي، والبحث في مسألة السفور والحجاب، ومحاربة بعض العوائد والتقاليد البالية في الخطبة والزواج[1].

ج- الناشئة الإسلامية الجزائرية: فتح الطفل الجزائري عينيه في ظلمات البيوت القصديرية، عرف آلام الجوع رضيعا، وسعت به قدماه طفلا في تسكع وضياع بحثا عن قطعة خبز يسد بها جوعته وركب لها المهن الحقيرة فطأطأ الرأس ماسحا للأحذية وأحنى الظهر رافعا للأثقال، واضطرته الحاجة إلى الانحراف الخلقي فنشأ سيء التربية مهمل الرعاية، أما الذين ساعفهم الحظ فوجدوا لهم مقاعد في مدارس الحكومة المحدودة فإنهم راحوا إلا قليلا منهم ضحية للتفرنج والانحلال.

ولكن زعماء الإصلاح أدركوا هذا الوضع، فتمحورت كتاباتهم الصحفية حول نقطة واحدة أساسية هي: وجوب العناية بالجيل الصاعد، وتنشئته تنشئة إسلامية صحيحة قوامها الأخلاق الفاضلة والسلوك الحسن لأن حبل النجاة من طوفان المسخ والتشويه الاستعماري بيده وحده، إذا فلتهيأ له التربية الصالحة، وليتعهد بالرعاية ليستطيع تحمل المسؤولية على أكمل وجه، وهذا ما يفسر لنا عناوين تلك المقالات من مثل: نحو المستقبل، أليس أطفال اليوم رجال الغد، هل نحن في بداية نهضة...[2]

[1] – ناصر محمد، ***المقالة الصحفية الجزائرية***، مرجع سابق، ص: 201.

[2] – المرجع نفسه، ص: 267.

الفصـــل الثالث:

الدعـــوة عند الشيخ محمد البشير الإبراهيمي

تمهيـــــــد:

لقد كان الناظر إلى الشعب الجزائري – قبل أن يؤذن فيه العلماء المصلحون- يحسبه يقظا وهو راقد، متحركا وهو هامد، نشطا وهو خامد، حيا وهو جامد ...، وقد استمر على تلك الحال حينا من الدهر، حتى بعث الله تعالى فيه أئمة راسخين في العلم مخلصين في العمل، أمارين بالمعروف ناهين عن المنكر، فدعوه إلى الخير فأقبل ونادوه إلى الكرامة فاستجاب، وعلموه من حقائق الدنيا والدين ما لم يكن له به علم، فاتخذ إلى ربه سبيلا، فأولئك "العلماء الذين أيقظوا الرأي العام من سباته".

ولقد كان الإمام محمد البشير الإبراهيمي "فخر علماء الجزائر" –كما وصفه ابن باديس- في الصف الأول من أولئك العلماء الذين أذنـــوا في الشعب لينهض من سباته، ويأخـــذ للحياة سلاحها، ويخوض الخطوب لاسترجاع حقوقه، واستعادة استقلاله، والثأر لكرامته.

وبهدف التعرف على هذه الشخصية استهدفت الدراسة في هذا الفصل الذي جاء بعنوان الدعوة عند الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، والذي قسم إلى أربعة مباحث، المبحث الأول التعريف بالشيخ محمد البشير الإبراهيمي، وذلك من خلال التعرف على المولد والنشأة وكذا حياته العلمية والعملية. لنتطرق في المبحث الثاني إلى الفكر التربوي للشيخ محمد البشير الإبراهيمي، والذي يضم ثلاثة مطالب، الأول يتناول التربية عند الإبراهيمي، والثاني يتطرق إلى غايات التربية عند الشيخ محمد البشير الإبراهيمي. أما المطلب الثالث سنتناول فيه المقومات الأساسية للعملية التربوية عند الشيخ الإبراهيمي، أما المبحث الثالث فسنتعرف فيه على فلسفة الإصلاح عند الشيخ محمد البشير الإبراهيمي من خلال مطلبين الأول جاء الحديث فيه عن الإصلاح الديني، والثاني نتطرق فيه إلى الإصلاح الاجتماعي، أما المبحث الرابع فجاء بعنوان المواقف السياسية عند الشيخ الإبراهيمي والذي قسم إلى ثلاثة مطالب، الأول نتعرف من خلاله على موقفه من الاستعمار، أما الثاني فسنتطرق فيه إلى موقفه من أحداث 8 ماي، والمطلب الثالث نتناول موضوع القضية الفلسطينية وموقف الشيخ منها.

المبحث الأول: التعريف بالشيخ محمد البشير الإبراهيمي

يهدف هذا المبحث للتعريف بالشيخ محمد البشير الإبراهيمي وذلك من خلال الوقوف على أبرز محطات حياته، والتعرف على الظروف التي جعلت من هذه الشخصية نجما يسطع في سماء الجزائر والوطن العربي، حيث سنتطرق في هذا المبحث إلى مطلبين الأول نتناول فيه المولد والنشأة والثاني نتطرق فيه إلى حياته العلمية والعملية.

المطلب الأول: المولد والنشـــأة

أولا– ولادته: ولد محمد البشير بن محمد السعدي بن عمر بن محمد بن عبد الله بن عمر الإبراهيمي يوم الخميس الثالث عشر من شهر شوال عام 1806 **هـــ الموافق لـــ** 14 تموز 1889 ميلادي في قرية رأس الوادي التابعة لولاية سطيف الموجودة في الشرق الجزائري، وقد نشأ الإمام الإبراهيمي على ما نشأ عليه أبناء الريف الجزائري من طرق الحياة القائمة على البساطة في المعيشة والطهارة في السلوك والمتانة في الأخلاق والاعتدال في الصحة.

ثانيا– أسرته: ينتسب إلى قبيلة أولاد إبراهيم المتواجدة بنواحي مدينة سطيف، سليل أسرة عربية جزائرية عريقة اشتهر أفرادها بالمحافظة على القيم الدينية والإقبال على العلم لمدة تزيد عن خمسة قرون، منهم جدّه عمر الإبراهيمي وعمه الأصغر الشيخ محمد المكي الإبراهيمي"عالم إقليمنا المعروف بوطن" ريغة "وفريد عصره في إتقان علوم اللسان العربي[1].

تعود أصول عائلته إلى إدريس بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤسس دولة الأدارسة بالمغرب (172-364هـ /789- 975هـ) عاصـــمتها فاس، دامت فترة حكمه نحو قرنين من الزمن . كان له الفضل في نشر الإسلام في المغرب بين البربر وتحريرهم من بطش الحكام، وتأسيس جامع القرويين.

[1]- الإبراهيمي محمد البشير، مرجع سابق، ج1، ص: 9.

المطلب الثاني: حياته العلمية والعملية

أولا– تربيته وتعليمه: تربى وتعلم في كنف عمه الشيخ محمد المكي الإبراهيمي، ودرس على يده الكتب التي كانت تدرس بالأزهر الشريف في ذلك الحين ، وكان لا يفارق عمه ليلا ونهارا يعلمه عمه، ويتعلم من عمه، حتى في لحظات إسلام عمه الروح إلى بارئها.

وتميز الشيخ الإبراهيمي بأنه كان ذا ذاكرة حافظة خارقة للعادة فأخذ عن عمه مختلف العلوم والمعارف ودرسها دراسة دقيقة، فحفظ القرآن الكريم في تمام الثامنة من عمره، مع فهم مفرداته وغريبه... ولم يبلغ الرابعة عشرة من عمره إلا وكان قد حفظ العديد من ا (المتون) في الفقه واللغة والشعر منها لابن مالك، لابن الرومي، أبي تمام، كما حفظ كثيرا من كتب اللغة كاملة مثل الإصلاح، والفصيح ومن كتب الأدب ..مثل الكامل والبيان وأدب الكاتب.. كما حفظ أسماء الرجال الذين ترجم لهم (نفخ الطيب)، وأخبارهم، وكثيرا من أشعارهم.

ولقد بلغت قوة حافظته الحد الذي كان يحفظ فيه عشرات الأبيات من سماع واحد، وفي الحادية عشر من عمره بدأ عمه يشرح له العديد من المتون التي سبق له حفظها.

ولقد مات عمه (1321هـ/ 1903م) وعمر البشير أربع عشرة سنه وكان عمه قد أجاز الإجازة العامة ... وعهد إليه أن يخلفه في التدريس لطلابه، فأصبح شيخا وهو في سن الصبا.

ثانيا– ترحاله ونشاطه: في (1329هـ/ أواخر 1911م) رحل الشيخ الإبراهيمي متخفيا من الجزائر إلى الحجاز وعمره إحدى و عشرون سنة فالتحق بوالده ، الذي كان استقر بالمدينة المنورة منذ (1326هـ/ 1908م) وفي طريقه إلى الحجاز، أقام بالقاهرة ثلاثة أشهر، طاف فيها بحلقات دروس العلم في الأزهر الشريف دروس الشيخ سليم البشري، والشيخ عبد الغني محمود... ، والشيخ السمالوطي، وزار العديد من العلماء والشعراء من مثل الشيخ محمد رشيد رضا وأحمد شوقي وغيرهم من العلماء والشعراء والأدباء[1].

وفي المدينة المنورة وعلى امتداد خمس سنوات واصل الشيخ البشير التعلم والتعليم.. فحضر العديد من دروس العلم ..وخاصة دروس الشيخ العزيز الوزير التونسي ..والشيخ حسين أحمد الفيض أبادي الهندي ..كما أخذ التفسير عن الشيخ الخليل إبراهيم الأسكوبي .. والجرح والتعديل ..وأنساب العرب وأدبهم الجاهلي والسيرة النبوية عن الشيخ محمد عبد الله زيدان الشنقيطي.كما استفاد من

[1]- الإبراهيمي محمد البشير، مرجع سابق، ج1، ص: 10.

المكتبات العلمية الموجودة فيها..... وفي المدينة أيضا إلتقى الشيخ البشير الإبراهيمي بالشيخ عبد الحميد بن باديس عندما جاء لأداء فريضة الحج (1331هـ/ 1913م) وعلى إمتداد ثلاثة أشهر تذاكر الشيخان وتدارسا وخططا معا للنهوض بوطنهما الجزائر.

وفي سنة 1917 انتقل إلى دمشق حيث دعته حكومتها لتدريس الأدب العربي بالمدرسة السلطانية (مكتب عنبر) وهي المدرسة العصرية الوحيدة آنذاك بالإضافة إلى إلقاء الدروس في الوعظ والإرشاد في الجامع الأموي، وقد تخرج على يديه جيل من المثقفين كان لهم آثر بالغ في النهضة العربية الحديثة.

ومن الأماكن المفضلة للشيخ الإبراهيمي بعد مسقط رأسه المدينة المنورة، وكان يفضل قضاء شهر رمضان بالمدينة لما للمكان من بعد روحي، ولسكانها من خلق وطيبة، ومدينة دمشق التي تزوج فيها ودفن فيها والده وحماه وابنه .

وفي سنة 1920 قرر الشيخ الإبراهيمي العودة للجزائر وفي مخيلته فكرة حركة تحيي الإسلام والعربية في الوطن وتنشر العلم، وتبعث الأمة، وأعجب بعد وصوله بالنتائج المثمرة التي حققها ابن باديس الذي كان يقود حركة ثقافية وصحفية بمدينة قسنطينة، فأقام بمدينة سطيف وأنشأ بها مدرسة ومسجدا بعد أن رفض الوظيفة التي عرضت عليه من طرف السلطات الفرنسية، وتعاطى التجارة ليقوم بأود عائلته، وبقى على اتصال بابن باديس وخلال هذه المرحلة تردد على مدينة تونس حيث كان يقيم أصهاره، وحيث كانت صداقات في الأوساط العلمية والأدبية.

في عام 1931 تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كرد فعل إيجابي على احتفال فرنسا بمرور قرن على احتلال الجزائر، بعدما أيقنت أن الجزائر قد أصبحت إلى الأبد قطعة منها، مسيحية الدين، فرنسية اللسان، فجاء شعار الجمعية صارخا مدويا في وجه فرنسا، وراسما طريق الخلاص منها "الإسلام ديننا، والعربية لغتنا، والجزائر وطننا" ووضع الإبراهيمي دستور الجمعية وقانونها الأساسي، وأصبح نائبا لرئيسها الإمام عبد الحميد ابن باديس، ومنذ عام 1933 تكفل بالمقاطعة الإدارية الغربية من القطر، واختار مدينة تلمسان مركزا لنشاطه المكثف، وأسس فيها "مدرسة دار الحديث"[1].

سنة 1937، بنيت على نسق هندسي أندلسي أصيل، فكانت مركز إشعاع ديني وعلمي وثقافي، واحتوت على مدرسة ومسجد وقاعة محاضرات.

[1]- الإبراهيمي محمد البشير، مرجع سابق، ج1، ص: 11.

بعد أن رفض الإبراهيمي رفضا قاطعا كل محاولات فرنسا لإغرائه واحتوائه، أو تثبيط عزيمته قررت السلطات الاستعمارية نفيه إلى قرية آفلو في الجنوب الغربي من الوطن، في مطلع الحرب العالمية الثانية.

وبعد أسبوع من نفيه تلقى خبر وفاة رفيقه الإمام عبد الحميد ابن باديس، وخبر اجتماع أعضاء الجمعية وانتخابهم له رئيسا رغم الضغوط الفرنسية الرامية إلى انتخاب غيره، فتحمل مسؤولية قيادة الجمعية غيابيا، وتولى إدارتها بالمراسلة طول الأعوام الثلاثة التي قضاها في المنفى، وبعد إطلاق سراحه عام 1943، أصبح قائدا للحركة الدينية والعلمية والثقافية في الجزائر، يجوب ربوعها معلما وموجها ومرشدا، يوحد الصفوف ويؤسس المدارس والمساجد والنوادي ويهيئ العقول لساعة الصفر التي كانت تخطط لها نخبة من الحركة السياسية.

وقد زج به في السجن بعد أحداث ماي 1945، وبقي فيه عاما كاملا ذاق الأمرين في زنزانة تحت الأرض حيث الظلمة والرطوبة، مما استدعى نقله إلى المستشفى العسكري بقسنطينة، فتحمل هذه المحنة بصبر المجاهد ويقين المؤمن.

وفي سنة 1946 استأنف نشاطه، فبعث جريدة البصائر من جديد في السنة الموالية بعد أن توقفت أثناء الحرب، وأشرف على تحريرها، كما أسس معهدا أطلق عليه اسم رفيقه وصديقه المرحوم عبد الحميد ابن باديس في قسنطينة، حظيت شهادته بالاعتراف من جامع الزيتونة ومن معاهد الشرق العربي، ومن هذا المعهد تخرج رجال قادوا الثورة المسلحة، فمنهم من استشهد في الجهاد الأصغر ومنهم من ساهم غداة الاستقلال في إعادة بناء هذا الوطن، كقياديين وإطارات سامية في الدولة فكان منهم الوزير والسفير، والوالي والمحافظ والقائد العسكري والأستاذ ومدير الجامعة...

وفي عام 1952 سافر الإبراهيمي إلى المشرق العربي للمرة الثانية ممثلا لجمعية العلماء ليسعى لدى الحكومات العربية لقبول بعثات طلابية جزائرية في معاهدها وجامعاتها، وطلب الإعانة المادية والمعنوية للجمعية حتى تستطيع مواصلة أعمالها وجهادها، والتعريف بالقضية الجزائرية في الأوساط السياسية في الدول التي زارها أو التقى مسؤوليها، ولدى جامعة الدول العربية.

وقد اتخذ من مصر منطلق لنشاطه، ورعى فيها أولى البعثات الطلابية وكان سفيرا للجزائر وصوتها المدوي، يلقي المحاضرات والدروس والأحاديث الإذاعية قبل الثورة التحريرية وأثنائها[1]

[1]- الإبراهيمي محمد البشير، مرجع سابق، ج1، ص: 12.

وقد زار في هذا الشأن بعد مصر كلا من المملكة العربية السعودية، العراق، وسوريا، والأردن الكويت وباكستان.

بعدها عاد الإبراهيمي إلى وطنه بعد استعادة الاستقلال وخلال هذه المرحلة اضطر إلى التقليل من نشاطه بسبب تدهور صحته من جهة، وبسبب سياسة الدولة التي شعر أنها زاغت عن الاتجاه الإسلامي، فانحصر نشاطه في حدثين:

أ- إلقاء أول خطبة جمعة بعد الاستقلال، افتتح بها مسجد "كتشاوة" بالعاصمة، الذي رجع كما كان مسجدا بعد أن حوله الاستعمار الفرنسي إلى كتدرائية طوال قرن وثلث، وقد ألقى الإبراهيمي هذه الخطبة المشهودة بحضور وفود من جميع الدول العربية والإسلامية.

ب- إصدار بيان 16 أفريل 1964، الذي دعا فيه السلطة آنذاك للعودة إلى الحكمة والصواب، وإلى جادة الإسلام، بعد أن رأى البلاد تنحدر نحو الحرب الأهلية، وتنتهج نهجا ينبع من مذاهب دخيلة مضادة لعقيدتنا وروحنا وجذورنا[1].

ثالثا– آثـــــاره :كرس الشيخ محمد البشير الإبراهيمي حياته للإصلاح وتكوين الرجال قارنا القول بالفعل والعلم بالعمل، فلم يكن له متسعا للتأليف بسبب كثرة الأعمال حيث قال": لم يتسع وقتي للتأليف والكتابة مع هذه الجهود التي تأكل الأعمار أكلا، ولكنني أتسلى بأنني ألفت للشعب رجالا، وعملت لتحرير عقوله تمهيدا لتحرير أجساده، وصححت له دينه ولغته فأصبح مسلماً عربياً، وصححت له موازين إدراكه فأصبح إنسانا أبيا، وحسبي هذا مقربا من رضا الرب، ورضا الشعب".

رغم هذا، فقد ترك مجموع أوراق اكتتبها، تناولت موضوعات متنوعة مست مختلف المجالات، منها ما جمع شتاتها وطبع في شكل كتاب، وأكثرها ضاع إبان الثورة التحريرية، أشرف نجله أحمد طالب الإبراهيمي على جمع آثار والده العلمية والفكرية والأدبية في خمسة مجلدات تحمل عنوان" **آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي**" ، وذلك بمساعدة تلميذي الشيخ الإبراهيمي حمزة بوكوشة ومحمد خمار بعد سنتين قضوها في البحث والتنقيب.

اشتمل الجزء الأول (1929-1940م) على بعض المقالات والمحاضرات والرسائل التي نشرت في الشهاب ابتداء من عام 1929 م، والبصائر في سلسلتها الأولى عقب عودته من المشرق سنة 1920م

[1]- الإبراهيمي محمد البشير، مرجع سابق، ج1، ص: 12.

والذي صدر سنة 1978 م .أما الجزء الثاني (1940-1952م) احتوى على بعض المقامات و الروايات والرسائل ومقالات كتبها في جريدة البصائر في سلسلتها الثانية . أما الجزء الثالث – عيون البصائر – يضم مجموع مقالات افتتاحية متنوعة كانت تتصدر جريدة البصائر في سلسلتها الثانية بين سنوات 1947و1953م، أشرف على طبعه محمد البشير الإبراهيمي بدار المعارف في مصر سنة 1963 م وهو أهم ما كتب حسب إجماع تلامذته ورفقاءه. واحتوى الجزء الرابع (1952–1954م) على مقالات وخطب، ومحاضرات سجلها أثناء رحلته الثانية إلى المشرق وإقامته به،بهدف التعريف بالقضية الجزائرية وواقعها والتشهير بدسائس الاستعمار الفرنسي إلى اندلاع الثورة التحريرية، والذي صدر سنة 1985م .أما فيما يخص الجزء الخامس (1954-1964م) فقد ضمنه مجموع الخطب والبرقيات وتصريحات وبيانات ونداءات مثل نداء أول نوفمبر يدور موضوعها حول الجزائر سواء أثناء ثورتها التحريرية أو بعد الاستقلال . والذي صدر سنة 1994م.

رابعا–وفـــــــاته: توفي الإمام الشيخ يوم الخميس 19 من مايــو1965 عن عمر يناهز 76 سنـــــة، قضاها في خدمة الإسلام والمسلمين بعد أن ضعفت صحته وكبر سنه[1] .

[1]- شفري شهرة، مرجع سابق، ص:104.

المبحث الثاني: الفكر التربوي للشيخ الإبراهيمي

سنتناول في هذا المبحث الفكر التربوي للشيخ الإبراهيمي، حيث نتطرق في المطلب الأول للتربية عند الإبراهيمي، أما المطلب الثاني فسنتعرف على غايات التربية والتعليم عنده، كما سنتطرق في المطلب الثالث إلى مقومات العملية التربوية عند الإبراهيمي.

المطلب الأول: التربية عند الإبراهيمي

كانت التربية في نظر الشيخ هي الوسيلة المثلى لغرس التعاليم الإسلامية التجديدية، في عقول الناشئة وفي قلوبهم ومقاومة تيار الفرنسة الذي يعمل منذ احتل الجزائر على أن يجردها من هويتها الإسلامية والعربية[1] ، وهي عنده جهد إنساني هادف ، يوجّه لرعاية الفرد والمجتمع ويسعى لبناء الفكر وتثقيف العقل وتقويم السلوك، وتقوية البدن، وتنمية المواهب، من أجل تحقيق الغاية التي يتطلع إليها الإنسان في حياته، وهي بلوغ الكمال الإنساني، أي بناء الشخصية السوية. فهو ينظر إلى الجهود التي يبذلها العلماء والمعلمون والمسؤولون عن رعاية أفراد المجتمع من وراء هذه الجهود وهو إعداد الأفراد للحياة الحاضرة والحياة المستقبلية ، من خلال الدعوة إلى بناء عقولهم ونفوسهم وتنمية مواهبهم الفطرية وتنشئتهم على صحة الإدراك ودقة الملاحظة .

ونستخلص هذه النظرة من عدد من أقواله، منها : قوله المتعلق بحقوق الجيل الناشئ، يقول فيه:" للجيل الآتي علينا حقوق أولية مؤكدة ، لا تبرأ ذمتنا منها عند الله ... إلا إذا أديناها كاملة غير مبخوسة ... وملاك هذه الحقوق أن نعدهم للحياة على غير الطريقة التي أعدنا بها آباؤنا للحياة" وقوله : "انتم حراس هذا الجيل – الخطاب موجّه إلى المعلمين – والمؤتمنون عليه والقوامون على بنائه فابنوا عقوله على أساس من الحقيقة ، وابنوا نفوسه على صخرة من الفضائل الإنسانية ... ربوهم على استخدام المواهب الفطرية، وعلى صدق التصور وصحة الإدراك ودقة الملاحظة"[2] .

فهو في هذه الأقوال يحدد خلاصة ما ينبغي أن تسعى إليه جهود الكبار والمسئولين عن رعاية الصغار

---

[1]- القرضاوي يوسف، ***مقومات الفكر الإصلاحي عند الإمام محمد البشير الإبراهيمي***، مداخلة في الملتقى الدولي للإمام محمد البشير الإبراهيمي بمناسبة الذكرى الأربعين لوفاته، دار الغرب الإسلامي، 2005م، ص: 84.

[2]- فضيل عبد القادر، ***التربية عند الإمام محمد البشير الإبراهيمي دراسة تحليلية للمنهج الذي خطه لجمعية العلماء وعالج من خلاله مسائل التعليم***، منشورة في شبكة الانترنت على الموقع التالي: http://www.ibrahimi.net تمت الزيارة يوم 2017/3/4 على الساعة 16:00 .

في مجال تنشئة الأجيال وفق إرادة المجتمع ، ويحدد في الوقت ذاته الأسلوب الذي يجب أن يعتمد في عملية الإعداد والتنشئة ، بحيث يكون أسلوباً ملائماً لمجريات العصر ومنسجماً مع حاجات الأجيال المتجددة.

المطلب الثاني: غايات التربية والتعليم عند الإبراهيمي

"غاية الغايات من التربية– هي توحيد النشء الجديد في أفكاره ومشاربه، وضبط نوازعه المضطربة، وتصحيح نظراته إلى الحياة، ونقله من ذلك المضْطَرَبْ الفكري الضيق الذي وضعه فيه مجتمعه– إلى مضطرب أوسع منه دائرة، وأرحب أفقا، وأصحَ أساسا، فإذا تم ذلك وانتهى إلى مداه طمعنا أن تخرج لنا المدرسة جيلاً متلائم الأذواق، متَحد المشارب، مضبوط النزعات، ينظر إلى الحياة– كما هي– نظرةً واحدةً، ويسعى في طلبها بإرادة متحدة، ويعمل لمصلحة الدين والوطن بقوة واحدة، في اتجاه واحد."[1]

لقد حرص الإبراهيمي على توجيه اهتمام المعلمين والعلماء العاملين في حقل تكوين الإنسان ونشر المعرفة إلى جملة من الغايات منها :

أ- تحرير العقول من الأوهام والضلالات في الدين والدنيا.

ب- الدفاع عن الذاتية الجزائرية التي هي عبارة عن العروبة والإسلام مجتمعين في وطن.

ج- إحياء مجد اللغة العربية وآدابها وتاريخها.

د- تذكير المسلمين بحقائق دينهم ، وسير أعلامهم ، وأمجاد تاريخهم.

هـ- ضرورة إحياء مجد الدين الإسلامي بإقامته كما أمر الله أن يقام ، بتصحيح أركانه الأربعة: العقيدة ، العبادة ، المعاملة ، الخلق

و- توجيه الاهتمام إلى إنشاء جيل قرآني يتقن حفظ القرآن وأداءه ويحسن فهمه والعمل به.[2]

وأما غاية التعليم فهي :

"تفقيهه في دينه ولغته وتعريفه بنفسه بمعرفة تاريخه"، ولا يتم هذا – كما يوضّح الإبراهيمي – إلا بتوحيد منهاج التربية ، وبتوحيد برنامج التعليم حيث يقول" وبماذا يتم تمام هذه الغاية؟ لا يتم هذا على وجهه المثمر إلا بتوحيد منهاج التربية وبرنامج التعليم ولا يتم توحيد المنهاج والبرنامج إلا

[1]- الإبراهيمي محمد البشير، مرجع سابق، ج3 (عيون البصائر)، ص: 275 .

[2]- فضيل عبد القادر، مرجع سابق.

بتوحيد الإدارة، ولا يتم توحيد الإدارة إلا بتوحيد الإشراف العام، درجات متلازمة سبقتنا بها الأمم التي بنت حياتها على تجربة النافع والأخذ بالأنفع، فقطعت الأشواط البعيدة في الزمن القريب"[1].

المطلب الثالث:المقومات الأساسية للتربية والتعليم عند الإبراهيمي

تبرز أستاذية الإبراهيمي التربوية في عنايته بكل الأركان أو المقومات الأساسية لعملية التربية ونلخصها في المقومات التالية:

أولا–المادة العلمية: اعتنى العلامة بالمادة العلمية التي تُعلم وتلقن للطالب وركز على انتقاء ما يقدم للمتعلمين من مواد تبني المتعلم: نفسيا وذهنيا، وخلقيا، إذ ليس كل من يكتب بالعربية، أو يثقف بالثقافة الفرنسية، ولا كل من يستطيع أن يخطب في المجتمع أو يحز من العلوم ضروبا يسمى مثقفا أو عالما، أو مصلحا وهو في ذاته وشخصيته عار من الحقيقة. كما نجده يقر بوجوب مسايرة العصر وأن يقدم للمتعلمين ما ينفعهم في حاضرهم، ومستقبلهم وينشئ عقولهم على التفكير الصحيح، ويصوغهم صياغة متقاربة، إذ يرى أن الملكات لا تكفي فيها القريحة والطبع حتى تمدها الصنعة بإمدادها، ما دامت [2]" المواضيع تتجدد، والمعاني تتوارد وتتشابه،ثم تتمازج، ثم تتمايز، فمن الواجب أن ننحت من هذا المعدن القديم جوهرة ونلصقها"[3]

ونقرأ مما سبق أن الإبراهيمي يرى أن التربية ملكة من الملكـــات لا تقوم على المألوف أو المجتر، ولا على أساس عشوائي للمدخلات التعليمية، بل يجب تحديد المادة، واختيارها، بحيث يستأنس لها العقل ويضيف عليها، بعد أن يتمكن منها المتعلم، وتتخامر في ذهنه وتتمايز، فجودة المخرجات رهينة بجودة المدخلات، ويمكن تلخيص مضمون المادة العلمية التي يجب أن يتلقاها طالب العلم كما يراها الإبراهيمي في النقاط التالية:

أ- أصالة المادة العلمية، بالاعتماد على ما صح وثبت بالدليل، والابتعاد عن القشور ومما لا فائدة من ورائه.

ب- الاعتماد على اللغة العربية كأساس في التربية والتعليم، ولا ينافي تعلم اللغات الأخرى.

---

[1]- الإبراهيمي محمد البشير، مرجع سابق، ج3 (عيون البصائر)، ص: 275.

[2]- ولهة حسين، ***نحو فهم أعمق للأسس التعليمية عند البشير الإبراهيمي***، ورقة مقدمة لملتقى إحياء تراث العلامة محمد البشير الإبراهيمي، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، ص: 5.

[3]- الإبراهيمي محمد البشير، مرجع سابق، ج4 ، ص: 160.

.

ج- مسايرة العصر في التعليم من حيث النظام والقوة والفعالية.

د- حفظ القرآن الكريم لأنه أساس العلوم كلها.

هـ- اعتماد الكتب السهلة ذات المحتوى المبسط.

و- وجوب تنوع المادة العلمية من المعارف العامة، كالتاريخ والأدب والحكمة والأخلاق والتربية، والرياضيات والطبيعيات.

ثانيا–المعلـــم: أولى العلامة البشير الإبراهيمي أولية للمعلم، وأبدى اهتمامه به، وقد برز ذلك في كتاباته، لا لشيء إلا لأنه دعامة النشء والمجتمع والوحيد الذي يقوم بعملية التربية والتعليم، حتى أنه عند الإبراهيمي بمثابة المجاهد، واللبنة الأساس التي تقوم عليها المدرسة، وانظر إلى وصفه لهم قائلا:" أما دعائم هذا البناء ..فهم أشبال الغاب وحماة الثغور، عمار المدارس، وسقاة المغارس، مربو الجيل وأئمته، أبناؤنا المعلمون المستحقون لأجر الجهاد، وشكر العباد"[1] فقد أنزله منزلة على جلاء قدره وسعة جهده.

أ- وظيفته: قدم الإبراهيمي جملة من الوظائف، التي ينبغي على المعلم أن يؤديها بحرص وأمانة ولعل أهمها: تقديم المعرفة للمتعلمين بأناة، يهدف من خلالهـــا إلى إبانة الغامض، وتيســـير الصعب العـــسير، حيث نجده يقول:" أمامكم العلم بآفاقه المتسعة، فبينوا ورغبوا، وأهيبوا بالغافلين عنه والمتخلفين عن ركبه، أن يشمروا ويسارعوا، وأن يتمسكوا بأسبابه، ويأخذوه عن أقطابه" وفي مقام حديثه عن علاقته بالتلاميذ ودوره إزاءهم يقول:" يقويهم في الدينيات علما وعملا، وفي القرآن حفظا وفهما، ويروض ألسنتهم على القراءة والخطابة، وأقلامهم عن الإنشاء والكتابة، وعقولهم على التفكير الصحيح، ويصوغهم صياغة أخلاقية متقاربة ويشرف بهم على علوم الحياة من باب الرياضيات والطبيعيات.."[2]

من هنا كانت قيمة المعلم كبيرة في نظر الإمام البشير الإبراهيمي، لأنه يدرك أن صلاح أي أمة تكمن في صلاح معلميها، وفي تشريف العامة لهذه النخبة، كونها تغذي النشء والبلاد بما فيه صلاح لحياتها، ونفع في أمورها[3].

---

[1]- الإبراهيمي محمد البشير، مرجع سابق، ج3 (عيون البصائر) ، ص:261.

[2]- المرجع نفسه،ج3 ،ص:273.

[3]- ولهة حسين، مرجع سابق، ص 6.

ب- سمات المعلم الناجح: وللمعلم المتحقق بالعلم عند الإبراهيمي شـــروط وعلامات تؤهله للتـــدريس، وآداء مسؤوليته على أكمل وجه، ومن بين هذه الشروط ما يتعلق بذاته، ومنها ما يتعلق بطلبته وتلاميذه، ونورد من جملة هذه الشروط:

1- الشروط الذاتية: من أهم الشروط التي ينبغي أن تتوافر في المعلم، كما يرى الإبراهيمي ما يلي:

* التحلي بالتقوى وإخلاص العمل لله، حيث يقول:" أوصيكم بتقوى الله فهي العدة في الشدائد، والعون في الملمات، وهي مهبط الروح والطمأنينة، وهي متنزل الصبر والسكينة، وهي مبعث القوة واليقين، وهي معراج السمو إلى السماء، وهي التي تثبت الأقدام في المزالق، وتربط على القلوب في الفتن"[1].

* مطابقة القول للعمل: حيث يقول:" ثم احرصوا أن يكون ما تلقونه لتلامذتكم من الأقوال، منطبقا على ما يرونه ويشهدونه منكم من الأعمال، فإن الناشئ الصغير مرهف الحس، طلعة إلى مثل هذه الدقائق التي تغفلون عنها، ولا ينالها اهتمامكم، وإنه قوي الإدراك للمعايب والكمالات، فإذا زينتم له الصدق، فكونوا صادقين، وإذا حسنتم له الصبر فكونوا من الصابرين، واعلموا أن كل نقش تنقشونه في نفوس تلامذتكم من غير أن يكون منقوشا في نفوسكم فهو زائل..."[2]

* ضرورة الاستزادة من العلم، بإكثار القراءة والمطالعة والبحث والتقصي والاستفادة من الجديد فمن النصائح التي كان يوجهها للطلبة والمعلمين "..وإن التعليم لإحدى طرق العلم للمعلم قبل المتعلم، إذا عرف كيف يصرف مواهبه وكيف يستزيد وكيف يستفيد، وكيف ينفذ من قضية إلى قضية، وكيف يخرج من باب إلى باب، فاعرفوا كيف تدخلون من باب التعليم إلى باب العلم، ومن مدخل القراءة إلى الفهم، وتوسعوا في المطالعة يتسع الاطلاع"[3] فالمعرفة أساس التحكم في الرافد المعرفي، والإحاطة والإلمام بالموضوع يسهلان على المعلم حسن التعامل مع المتعلم، ومن ثم تحدث الاستجابة بين الطرفين.

2- شروطه مع المتعلمين: ونوجز أهمها في:

* الشفقة على المتعلمين، والتحبب إليهم ورعاية الأطفال، وسياستهم بالرفق والإحسان باللين والتواضع، ومساعدتهم على قضاء حوائجهم إن كان ذلك باستطاعته، فهم بالنسبة إليه كالأولاد مع

[1]- الإبراهيمي محمد البشير، مرجع سابق، ج3 (عيون البصائر)، ص:265.

[2]- المرجع نفسه ، ص:264.

[3]- المرجع نفسه ، ص:268.

آبائهم حيث يقول:" فواجب المربي الحاذق المخلص إذا أراد أن يصل إلى نفوسهم من أقرب طريق، وأن يصلح نزعاتهم بأيسر كلفة، وأن يحملهم على طاعته وامتثال أمره بأسهل وسيلة، هو أن يتحبب إليهم ويقابلهم بوجه متهلل، ويبادلهم التحية بأحسن منها، ويسائلهم عن أحوالهم باهتمام، ويضاحكهم ويحادثهم بلطف وبشاشة ويبسط لهم الآمال ويظهر لهم من الحنان والعطف ما يحملهم على محبته، فإذا أحبوه أطاعوه وامتثلوا أمره، وإذا أطاعوا أمره وصل من توجيههم في الصالحات إلى ما يريد، وتمكن من حملهم على الاستقامة وطبعهم على الخير والفضيلة، فإذا ملك نفوسهم بهذه الطريقة حبب إليهم المدرسة والقراءة والعلم، وإن الصغير لا يفلح في التربية ولا ينجح في القراءة إلا إذا أحب معلمه كحبه لأبويه أو أعظم وأحب المدرسة كحبه لبيت أبويه أو أشد"[1].

* دراسة ميول الأطفال: حيث يقول الإبراهيمي في هذه النقطة:" وليدرس المعلم ميول الأطفال بالإختلاط بهم، وليكن بينهم كأخ كبير لهم يفيض عليهم عطفه ويوزع بشاشته ويزرع بينهم نصائحه ويرد الناد عن المحجة برفق , إنّ درس الميول يمكن المعلم من إصلاح الفاسد منها , ومن غرس أضدادها من الفضائل في نفوسهم"[2].

* اتخاذ أسلوب الترغيب في سياسة الأطفال ورعايتهم بدل أسلوب الترهيب حيث يقول:" وليحذر المعلمون الكرام من سلوك تلك الطريقة العتيقة التي كانت شائعة بين معلمي القرآن وهي أخذ الأطفال بالقسوة والترهيب في حفظ القرآن فإن تلك الطريقة هي التي أفسدت هذا الجيل وغرست فيه الرذائل المهلكة، إن القسوة والإرهاب والعنف تحمل الأطفال على الكذب والنفاق وتغرس فيهم الجبن والخوف، وتبغض إليهم القراءة والعلم وكل ذلك معدود في جنايات المعلمين الجاهلين بالتربية"[3] وهذا ما أقره علماء النفس التربوي أن التسرب المدرسي راجع إلى العنف الممارس على المتعلم من طرف الأسرة، أو المدرسة.

ثالثا–طريقة التعليم وآداءاتها :إن التربويين الحقيقيين لا يكتفون بالمادة العلمية التي تزخر بها رفرف المكتبات والتي بإمكان أي متعلم الوفود إليها، وإنما يركزون أكثر على طريقة إيصالها إلى المتعلمين بأسلوب واضح بسيط يفهمونه، وإلا فما جدوى ذلك المحتوى الواسع الثري بشتى أنواع المعارف؟

[1]- الإبراهيمي محمد البشير، مرجع سابق، ج2، ص:113.

[2]- المرجع نفسه.

[3]- المرجع نفسه.

وما فائدة وجود المعلمين في الساحة العلمية؟ فهي طريقة لا تنفصل عن المحتويات، وتتمثل في الأساليب التي يتبعها المدرس في توصيل المعلومات إلى أذهان التلاميذ.

إن الطريقة هي أساس إيصال المعلومات إلى أصحابها، فإذا كانت جيدة كان الاستيعاب قويا مفيدا من قبل المتعلمين، وإذا كانت سيئة كان الاستيعاب أسوء من ذلك. والمعلم محمد البشير الإبراهيمي من التربويين الذين اهتموا بها، فلفت أنظار المعلمين إليها، فالطريقة الصحيحة في نظره لتكوين الناشئة لا تكمن في حشد المعلومات الهائلة وتلقينها للمتعلمين، وإنما تكمن في حسن تربيتهم مع قليل من العلم النافع، يقول عن الطريقة التي اتفق عليها مع عبد الحميد بن باديس في اجتماعه بالمدينة المنورة " ألا نتوسع له في العلم وإنما نربيه على فكرة صحيحة ولو مع علم قليل"[1] فهو يرى أن العلم يبنى على التربية الصحيحة والعلم القليل المفيد وليس على كثرة المعلومات.

ويرى الإبراهيمي أن الطريقة الصحيحـــة هي التي تبنى على المنهـــج الصحيح السليم الفعـــال، وذلك من خلال[2]:

* الحرص على أن تكون التربية قبل التعليم، فالتربية الفاضلة هي أساس العلم الصحيح، حيث يقول: "احرصوا على أن تكون التربية قبل التعليم ، واجعلوا الحقيقة الآتية نصب أعينكم ، وهي أنّ الجيل الذي أنتم منه لم يؤت في خيبته من نقص العلم ، وإنّما خاب أكثر ما خاب من نقص الأخلاق"[3]

* بناء الأمور على أسبابها والنتائج على مقدماتها علما وعملا، حيث قال الإبراهيمي" ربوهم على يناء الأمور على أسبابها، والنتائج على مقدماتها علما وعملا.."

* الاعتماد على التمثيل والمشابهة لتتضح العلل والأسباب.بقوله" بينوا لهم الحقائق، واقرنوا لهم الأشباه بالأشباه واجمعوا النظائر إلى النظائر وبينوا لهم العلل والأسباب"

* صدق التصور وصحة الإدراك ودقة الملاحظة.بقوله" ربوهم على استخدام المواهب الفطرية من عقل وفكر وذهن، وعلى صدق التصور وصحة الإدراك ودقة الملاحظة والوقوف عند حدود الواقع" [4]

---

[1]- الإبراهيمي محمد البشير، مرجع سابق،ج5، ص: 280.

[2]- بوخنوف شهيرة، ***البعد التعليمي في كتاب عيون البصائر***، ورقة مقدمة لملتقى إحياء تراث العلامة محمد البشير الإبراهيمي، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، ص: 12 .

[3]- الإبراهيمي محمد البشير، مرجع سابق، ج5، ص: 280.

[4]- المرجع نفسه، ج3 (عيون البصائر) ، ص: 272.

رابعا–المتعلم الطالب: وهو المقصود بعملية التربية والتعليم كّلها، وقد عني به إمامنا الإبراهيمي كما عني بسائر أركان التربية، بل عنايته به كانت أبلغ وأعمق؛ لعلمه أن المتعلم هو الثروة التي لا تضاهيها ثروة، كونها صمام أمانٍ للوطن، والوريد النابض للمجتمع، وها هو يخاطبهم قائلا: إنّكم " يا أبناءنا مناط آمالنا، ومستودع أمانينا، نعدكم لحمل الأمانة وهي ثقيلة، ولاستحقاق الإرث، وهو ذو تبعات، وذو تكاليف، وننتظر منكم ما ينتظره المدلج في الظلام من تباشير الصبح"[1]

ويقدم الإبراهيمي لطلبة العلم جملة من المبادئ التربوية والخصائص التعليمية، التي بها يحصل العلم وترسخ المعرفة يمكن إجمالها في ما يلي:

* الانقطاع للعلم والتبتل إليه، وإنفاق الوقت الكثير في تحصيله والاجتهاد في تلقيه، وفي هذا الصدد يقول:" إنّكم لا تضطلعون بهذه الواجبات، إلا إذا انقطعتم لطلب العلـــم، وتبتلتم إليه تبتيلا، وأنفقتم الدقائق والساعات في تحصيله وعكفتم على أخذه من أفواه الرجال، وبطون الكتب واستثرتم كنوزه بالبحث والمطالعة، وكثرة المناظرة والمراجعة، ووصلتم في طلبه سواد الليل ببياض النهار".

* العكوف على أخذه من أفواه الرجال وبطون الكتب، والرحلة في سبيله للقاء العلمـــاء والمشايخ، إذ يقول:" إن أسلافكم كانوا يعدون الرحلة في سبيل العلم من شروط الكمال فيه".

* وجوب تقييد العلم ونسخ الأصول"..كانوا يقيدون، وأنتم لا تقيدون وكانوا ينسخون الأصول بأيديهم ويضبطونها بالعرض والمقابلة، حرفاً حرفا وكلمة كلمة".

* عدم الاعتماد على حلق الدروس وحدها، والاعتماد معها على حلق المذاكرة الفردية والجماعية حيث يقول:" لا تعتمدوا على حلق الدروس وحدها، واعتمدوا معها على حلق المذاكرة، إن المذاكرة لقاح العلم، فاشغلوا أوقاتكم حين تخرجون من الدرس بالمذاكرة في ذلك الدرس".

* عدم الاعتماد على الكتب المقررة لوحدها، والاعتماد على غيرها من الكتب المبسوطة الميسرة " لا تقنعوا بالكتاب المقرر، واقرأوا غيره من الكتب السهلة المبسوطة في ذلك العلم، تستحكم الملكة ويتسع الإدراك"[2].

* الانقطاع عن الشواغل الفكرية والجسمية التي تحول دون التحصيل وتعيق الفهم وتذهب التركيز حيث يقول في هذا :" لا تقطعوا الفاضل من أوقاتكم في ذرع الأزقة إلا بمقدار ما تستعيدون به

[1]- الإبراهيمي محمد البشير، مرجع سابق، ج3 (عيون البصائر)، ص: 201.

[2]- المرجع نفسه، ص: 202.

النشاط البدني، ولا في الجلوس في المقاهي إلا بقدر ما تدفعون به الملل والركود، ولا في قراءة الجرائد إلا بقدر ما تطلعون به على الحوادث الكبرى، وتصلون به مجاري التاريخ".

* الابتعاد عند طلب العلم عن المناقشات الحزبية والخلافات السياسية " اتركوا المناقشات الحزبية والخلافات السياسية لأهلها، المضطلعين بها، المنقطعين لها"[1].

خامسا– المدرســـة: طالب الإبراهيمي ببناء المدارس وقد حرص على وجوب إنشائها، والتعلم فيها؛ إذ كان يرى أن العلم لا بد أن ينهل من المدارس وأن المدرسة وحدها القادرة على تحقيق غايات التعلم، وهي للمتعلم خير مورد ومعين وقد ربط الحياة بالعلم، وألا حياة لعلم بلا مدرسة[2]، في هذا الصدد يقول الإبراهيمي:" الحياة بالعلم والمدرسة منبع العلم، ومشرع العرفان، وطريق الهداية إلى الحياة الشريفة...أما إرواء العقل والروح، وإرضاء الميول الصاعدة بهما إلى الأفق الأعلى، فالتمسهما في المدرسة، لا في القصر، ولا في المصنع، ولو تباهت الأبنية المشيدة بغاياتها...لأسكتت المدرسة كل منافس"[3].

[1]- الإبراهيمي محمد البشير، مرجع سابق، ج3 (عيون البصائر)، ص: 202.

[2]- ولهة حسين، ***نحو فهم أعمق للأسس التعليمية عند البشير الإبراهيمي***، مرجع سابق، ص: 11.

[3]- الإبراهيمي محمد البشير، مرجع سابق، ج3 (عيون البصائر)، ص: 258.

المبحث الثالث: فلسفة الإصلاح عند الشيخ الإبراهيمي

يمكن تصنيف أعمال الشيخ الإبراهيمي الإصلاحية تحت محورين كبيرين، محور الإصلاح الديني، ومحور الإصلاح الاجتماعي، وهناك تلازم ضروري بين المحورين في نظره لتحقيق النهوض بالبلاد ثقافيا واجتماعيا فيقول رحمه الله:" والحقيقة أن هذه الجمعية تعمل من أول يوم تكوينها للإصلاح الديني والإصلاح الاجتماعي، وكل ذلك يسع الإسلام، وكل ذلك يسعه مدلولها ومضمونها وقانونها، فالإسلام دين اجتماع، وإذا كانت دائرة الأول محدودة فإن دائرة الثاني واسعة الأطراف، وإن الإصلاح الديني لا يتم إلا بالإصلاح الاجتماعي، ولهذا الارتباط بين القسمين، فإن جمعية العلماء عملت منذ تكوينها في الإصلاحيين المتلازمين، وهي تعلم أن المسلم لا يكون مسلما حقيقيا مستقيما في دينه على الطريقة حتى تستقيم اجتماعيته فيحسن إدراكه للأشياء، وفهمه لمعنى الحياة، وتقديره لوظيفته فيها، وعلمه بحظه منها، وينضج عقله وتفكيره، ويُلم بزمانه وأهل زمانه، ويتقاضى من أفراد المجموعة البشرية ما يتقاضونه منه من حقوق وواجبات، ويرى لنفسه من العزة والقوة ما يرونه لأنفسهم، وتربط بينه وبينهم رابطة الأخوة والمساواة والمصلحة، لا رابطة السيادة عليه والاستئثار دونه"[1].

المطلب الأول: الإصلاح الديني

إن الغاية العظمى والهدف الأسمى من هذا الإصلاح هو إرجاع المسلمين إلى كتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم، وربطهم بسلفهم الصالح وماضيهم المشرق، لأن حاضر الأمة ومستقبلها إذا لم يبن على جذور متينة من الماضي لن يثمر، فهو كشجرة هشة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، أو كبنيان أسس على شفا جرف هار فيوشك أن ينهار. فقد عمل الشيخ الإبراهيمي في هذا المجال على تحقيق ما يلي:

أولا– تحرير العقول من الضلالات والأوهام في الدين والدنيا، وتحرير النفوس من تأليه الأهواء والرجال. وفي ذلك يقول رحمه الله:" إن تحرير العقول لأساس لتحرير الأبدان وأصل له، ومحال أن يتحرر بدن يحمل عقلا عبدا، إن هذا النوع من التحرير لا يقوم به، ولا يقوى عليه إلا العلماء

[1]- الإبراهيمي محمد البشير، مرجع سابق، ج1، ص: 283.

الربانيونَ المصلحون، فهو أثر طبيعي للإصلاح الديني الذي اضطلعت بحمله جمعية العلماء، عرف ذلك من عرفه لها إنصافا، وأنكره من أنكره عنادا وحسدا"[1].

ثانيا– إصلاح عقائد المسلمين وإراداتهم لتصح عباداتهم وأعمالهم، لأن العبادات هي أثر العقائد كما أن الأعمال أثر الإرادات، فما انبنى منها على الصحيح فهو صحيـــح، وما انبنى على الفاسد فهو فاسد، ويشرح الشيخ –رحمه الله– الطريقة التي يتم بها ذلك فيقول:"إن في الفقه فقها لا تصل إليه المدارك القاصرة، وهو لباب الدين، وروح القرآن، وعصارة سنة محمد صلى الله عليه وسلم وهو تفسير أعماله وأقواله وأحواله ومآخذه ومتاركه، وهو الذي ورثه عنه أصحابه وأتباعهم إلى يوم الدين، وهو الذي يسعد المسلون بفهمه وتطبيقه والعمل به، وهـــو الذي يجلب لهم عز الدنيا والآخرة، وهو الذي نريد أن نحييه في هذه الأمة فتحيا به ونصحح به عقائدها، ونقوم به فهومها فتصح به عباداتها وأعمالها"[2]

ثالثا– إصلاح ما أفسده التعصب المذهبي والجمود الفقهي، والاقتناع والرضا بالتقليد، وهو ما أبعد المسلمين عن الدين الحق، ورمى بهم إلى مؤخرة الركب بين الأمم، وذلك بالرجوع بهم إلى المورد الصافي النقي والمنهل العذب الزلال المتمثل في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وفق الطريقة التي سار عليها سلفنا الصالح من إيراد الدليل والتعليل في الفقه والفتوى والتعليم. يقول رحمه الله:" ولو أن فقهائنا أخذوا الفقه من القرآن، ومن السنة القولية والفعلية، ومن عمل السلف، أو من كتب العلماء المستقلين المستدلين التي تقرن المسائل بأدلتها، وتبين حكمة الشارع منها، لكان فقههم أكمل، وآثاره الحسنة في نفوسهم أظهر، ولكانت سلطتهم على المستفتين من العامة أمتن وأنفذ، ويدهم في تربيتهم وترويضهم على الاستقامة في الدين أعلى"[3].

رابعا– فصل الدين عن الدولة: أصبح الإبراهيمي وسائر المصلحين يخشون على الدين من الاضمحلال في بلد مسلم باتت تحكمه دولة صليبية، لذا سارعوا إلى المطالبة بفصل الدين عن الدولة. و قد خص الإبراهيمي هذه القضية الخطيرة بعشرين مقالا يطالب فيها بالحرية الدينية بحيث لا يتدخل الفرنسي المسيحي في شؤون الجزائري المسلم حيث يقول" نحن نريد– جادين – فصل

[1]- الإبراهيمي محمد البشير، مرجع سابق، ج 3(عيون البصائر)، ص: 34.

[2]- المرجع نفسه، ص: 203.

[3]- المرجع نفسه ، ص:229.

ديننا بجميع شعائره و علائقه عن حكومة الجزائر اللائكية المسيحية فصلا ناجزا حاسما، لا تلكؤ فيه و لا هوادة، و نريد بث حباله من حبالها في المعنويات و الماديات، و نعمل لذلك متساندين في الحق، مستندين على الحق"[1] ويقول أيضا:" فلا نريد أن تبقى للحكومة يد ولا أصبع في تعليمنا العربي الديني، ولا في شعائرنا الدينية ولا في مساجدنا، ولا نريد إلا أن تكون الأمة حرة في دينها، مطلقة التصرف في مساجدها وأوقافها وشعائر دينها"[2]

ومن هذا المنطلق " فصل الدين عن الدولة" أفتى ببطلان كل ما تقرره الحكومة في أمور الدين يقول " نعتقد أن كل ما قررته هذه الحكومة المسيحية، وكل ما تقرره في شؤون ديننا باطل منقوض دينا وعقلا وقانونا، حتى تسمية الأئمة والمؤذنين فهي باطلة وطلب الوظائف من هذه الحكومة باطل، والرضى بها باطل، لأن شرط نصب الإمام أن يكون من حكومة مسلمة، أو من جماعة المسلمين".[3]

المطلب الثاني: الإصلاح الاجتماعي

إن المتصفح لمقالات الإبراهيمي يجدها كثيرة الاهتمام بالمواضيع الاجتماعية بحيث يصعب حصرها و حسبنا أن نشير إلى بعض العناوين التي تدل دلالة واضحة على هذا المنحى في كتاباته من مثل" الشبان و الزواج" "الطلاق"،"الصداق و هل له حد " فالمقالة الاجتماعية تصور جوانب واقعية من عصر الكاتب و شؤون مجتمعه و مظاهر انبرى الإبراهيمي لمحاربتها.

من القضايا الاجتماعية التي تناولها قلم الشيخ البشير الإبراهيمي بالتخصيص والعلاج:

أولا– قضية الزواج والمغالاة في المهور: حيث صار أكثر الشباب يعرضون عنه إلى سن متأخر من العمر فيحدث بسبب ذلك فساد في الأخلاق والأعراض والأموال، وإذا ازدادت هذه الظاهرة انتشاراً وفشت واستحكمت، فإنَّ الأمة تتلاشى وتندثر،، فقال مبينا خطورة هذا الأمر وأهمية الإصلاح فيه:

"تعاني الأمة الجزائرية وجارتها المتحدة معها في الدين والجنس، ... عدة مشاكل اجتماعية، لا يسع المصلحين إغفالها، ولا السكوت عليها بعد ظهور آثارها وتحقيق أضرارها، وستعالج البصائر طائفة من أمَّهاتها، ببيان نتائجها وبيان الرأي في علاجها... فإن من بعض هذه المشاكل ما لو تمادى وامتدَّ لأتى بنيان الأمة من القواعد، وقضى عليها بالمسخ أوَّلا، والتَّلاشي أخيرا، أعضل هذه المشاكل، وأعمقها

[1]- الإبراهيمي محمد البشير، مرجع سابق ،ج3 (عيون البصائر)، ص:112.

[2]- المرجع نفسه، ص:102.

[3]- المرجع نفسه، ص:107.

أثراً في حياة الأمة، وأبعدها تأثيرا في تكوينها، مشكلة الزواج بالنسبة إلى الشبان"[1] فعمل على إزالة الأسباب التي أدت إلى هذه الظاهرة، وهي في الغالب تعود إلى العوائد، والتقاليد الفاسدة التي بدلت حكم الله تعالى ونسخت سنة رسوله صلى الله عليه وسلم.[2]

ومن تلك العوائد السيئة المغالاة في المهور، يقول رحمه الله:"من أمراضنا الاجتماعية التي تنشر في أوساطنا الفساد والفتنة، وتعجل بها إلى الدمار والفناء –عادة- المغالاة في المهور ...وقد كانت هذه القضية –وما زالت- أهم ما تضمنه منهاجنا في الإصلاح الاجتماعي، فعالجناها بالترغيب والترهيب، وبيان ما يقتضيه الحكمة الشرعية، وما يقتضيه الحكم الشرعي، تناولناها في الخطب الجُمُعِيَةِ، وفي الدروس وفي المحاضرات العامة، وفي المقالات المكتوبة، وحملنا الحملات الصادقة على العوائد التي لابستها، فأفسدتها حتى صيرت الزواج الذي هو ركن الحياة أعسر شيء في الحي".[3]

ثانيا- قضية المرأة: عاشت المرأة الجزائرية إبان الاحتـــلال الفرنسي ظروف اجتماعية قاسية للغـــاية، منها الجهل الذي تخبطت في غياهبه وأضر بعقلها وحجبها عن معرفة حقيقة الدين ودورها الوظيفي في المجتمع وإسهامها الإيجابي في عملية الإصلاح والتغيير[4]. حيث يقول الإبراهيمي عن قضية المرأة وظروفها " المرأة المسلمة موضوع ذو شعب: جهلها، تربيتها، تعليمها، حجابها وظيفتها في البيت... كانت المرأة المسلمة في الجزائر -إلى عهد قريب لا يتجاوز أربعين سنة-، محرومة من كل ما يسمى تعليما إلا شيئا من القرآن يؤدي إلى معرفة القراءة والكتابة البسيطة، وهذا النوع على سذاجته خاص ببعض بيوت العلم، ولا يجاوزون بالبنت فيه الثانية عشرة من عمرها.."[5] .

اهتمت بعض الأقلام الجزائرية بقضية تعليمها وتربيتها وتثقيفها، فدعاة السفور والتفرنج المغالين المتأثرين بالأفكار الغربية الهدامة، دعوا إلى المساواة بينها وبين الرجل وطالبوا بتحريرها من

---

[1]- الإبراهيمي محمد البشير، مرجع سابق، ص:325.

[2]- الوزاني محمد، ***جوانب الإصلاح في دعوة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي***، منشورة في شبكة الانترنت على الموقع التالي: http://www.rayatalislah.com/index.php/al-sira/item. تمت الزيارة يوم 2017/04/10 على الساعة 17:00.

[3]- الإبراهيمي محمد البشير، مرجع سابق، ج3 (عيون البصائر)، ص:359.

[4]- شفري شهرة، مرجع سابق، ص 134.

[5]- الإبراهيمي محمد البشير، مرجع سابق، ج4، ص:263.

أسر الدين بدعوى الدفـــاع عن حقوقها كحق الميراث وحـــق الطلاق، كما حرضوها على نزع حجابها؛ بدعوى أنه يعيق نهضتها الفكرية والثقافية.

وفريق من بعض الفقهاء المتعصبين المتزمتين والدجالين المتاجر ين بالدين، أوصد الباب في وجهها وأقعدها في البيت حبيسة الجهل والخرافات والتقليد الأعمى وأنكر عليها تخطي عتبة الباب، مستندين في ذلك إلى أدلة واهية لا أساس لها من الصحة متجاهلين كما يقول الإبراهيمي أنها:" إذا تعطلت عطلت الرجل وإذا تأخرت أخرته، ولا سبب لانحطاط المرأة عندنا إلا هذا الضلال الذي شوه الدين وقضى على المرأة بالخمول فقضت على الرجل بالفشل، وكانت نكبة على المسلمين، وما المرأة المسلمة الجزائرية إلا جزء ا من المجموعة الإسلامية"[1]

كما يرد عليهم بقوله:"... والسبب في هذه الحالة نزعة قديمة خاطئة راجت بين المسلمين، وهي أن تعليم البنت مفسدة لها، ويلوك أصحاب هذه الترعة آثارا مقطوعة الأسانيد، مخالفة لمقاصد الشريعة"[2] وقضايا المرأة على وجه الخصوص من أول القضايا التي استرعت انتباه الإبراهيمي ما جعله ينتفض لوضعية المرأة المسلمة الجزائرية حيث أوجب تعليمها تعليما لا يخرج عن دائرة الدين والأخلاق يليق بطبيعتها ووظيفتها الأسرية. وهذه الوظيفة لا تؤديها إلا بالعلم حيث يرى الإبراهيمي أن جهل المرأة" علة العلل في الحالة التي أفضت بالمرأة المسلمة إلى هذه الدرجة التي ما زالت عقابيلها سارية في المجتمع الإسلامي"[3] وأنها " فإذا جهلت المرأة أتعبت الزوج، وأفسدت الأولاد، وأهلكت الأمة"[4]. ذلك أن المرأة هي عمق أي مجتمع وهي حاضنته، منها الانطلاقة وإليها الأوبة، فكان يركز عليها ويفعل دورها ويجعلها محورا مهما في مقاومة المحتل[5].

ثالثا– قضية الشباب: جعل الإبراهيمي شريـــحة الـــشباب أكبر همه وأساس عـــمله؛ وبنى عليهم دعوته. فألـــقى عليهم الـــخطب لـــيوجـــههم، وكتب لـــهم الـــمقالات لـــيرشدهم. فكان أن

---

[1]- الإبراهيمي محمد البشير، مرجع سابق، ج4، ص:264.

[2]- المرجع نفسه، ص:263.

[3]- المرجع نفسه.

[4]- المرجع نفسه، ص:50.

[5]- الغريب علي محمد، ***حتى لا يتأخر الرجل***. منشورة في شبكة الانترنت على الموقع التالي: http://www.almeshkat.net/vb/showthread.php?t=14257. تمت الزيارة يوم 2017/05/1 على الساعة 14:00.

ألقى ونشر (إلى الشباب) و(الشباب المحمدي) و(الشبان والزواج) و(الشاب الجزائري كما تمثله لي الخواطر) وغيرها الكثير من المقالات .خاطبهم فيها بألطف عبارة، وأوضح إشارة، يشعرهم من خلال كلامه بالأبوة من جهة، وبالنصح والصدق من جهة أخرى. فكان يرى أنهم هم الذين عليهم المعول ولهم وعليهم البناء في الآخر والأول. فوصفهم بأوصاف رائعة، وألقاب رائقة[1]، فكان منها قوله: "شباب الأمة هم عمادها، وهم مادة حياتها، وهم سر بريقها"[2]، "هم الساق الجديد في بناء الأمة، والدم الحديد لحياتها، والامتداد الطبيعي لتاريخها"[3]، و"الشباب أمة مستقلة"[4]، هم "أملنا وورثة خصائصنا"[5]

كانت كلماته تفيض حبا وحنانا ورعاية واهتماما. فكان يقول لهم" :أي أبنائي! إن هذا القلب الذي أحمله يحمل من الشفقة عليكم، والرحمة بكم، والاهتمام بشؤونكم، ما تنبت منه الحبال وتنوء بحمله الجبال. [6] كل ذلك لأن الأمة الرشيدة في نظره "هي التي تحرس شبابها في طور الشباب من الآفات التي تصاحب هذا الطور، فتحافظ على أفكارهم أن تزيغ، لأن هذا الطور طور له ما بعده من زيغ أو استقامة! وتحافظ على أهوائهم أن تتجه اتجاها غير محمود. وتحافظ على عقولهم أن تعلق بها الخيالات، فتنشأ عليها، ويعسر أو يتعذر رجوعهم عنها، وتحافظ على ميولهم وعواطفهم أن تطغى عليها الغرائز الحيوانية، لأن هذا الطور هو طور تنبهها ويقظتها[7]

إن أعظم وأصلح ما يزرع في الشباب حبه لدينه وتفانيه في خدمته؛ فهو الغرس الذي ينمو، والحصن الذي يتقى به، والحائط الذي لا يتصدع "فإذا نشأ الشباب على التدين

---

[1]- بانيمة سعد بن عبد الله، ***فصول من جهود الإبراهيمي في إصلاح شباب الأمة***، منشورة في شبكة الانترنت على الموقع التالي: http:// taseel.com/articles/4978 مركز التأصيل للدراسات والبحوث. تمت الزيارة يوم 2017/04/22 على الساعة 21:30.

[2]- الإبراهيمي محمد البشير، مرجع سابق، ج2، ص:453.

[3]- المرجع نفسه، ج4،ص:267.

[4]- المرجع نفسه، ج2، ص:301.

[5]- المرجع نفسه، ج3 (عيون البصائر)، ص:293.

[6]- المرجع نفسه، ص:265.

[7]- المرجع نفسه، ص:295.

أحب الدين! وإذا أحب ما فيه أحب ما يستتبِعه من فضائل وأخلاق حميدة، وعمل على غرسها في نفوس غيره من الأجيال اللاحقة"[1]

وهذا لا يعني انفصامهم عن الحياة وأسبابها، يقول: "والشباب المحمدي أحق شباب الأمم بالسبق إلى الحياة، والأخذ بأسباب القوة، لأن لهم من دينهم حافزا إلى ذلك، ولهم في دينهم على كل مكرمة دليل، ولهم في تاريخهم على كل دعوى في الفخار شاهد"[2]

لقد عصفت بالشباب – يمينا وشمالا- أمور أدت بهم إلى التنكر لدينهم، وقضايا أمتهم، أخطرها ما كان متعلقا بالجوانب الفكرية من انبهار بالغرب، وإعجاب بما يقرره من ثقافته، ممّا تسبب في إرث لعدة تفصيلات وتفريعات، ويعيد الإبراهيمي هذه الأمور إلى جهل الشباب بدينهم ما أفقدهم الثقة في ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم، وفي محاسن دينهم "إن شبابنا لجهلهم بالإسلام أصبحوا لا يثقون بماضيه، وكيف يثقون بماض مجهول وهذا حاضره؟ أم كيف يدافعون عن هذا الماضي المجهول إذا عرض لهم الطعن فيه في الكتاب الطاعن؟ أم سمعوا اللعن له من الأستاذ اللاعن؟ أم كيف يفخرون بالمجهول إذا جليت المفاخر الأجنبية في كتاب يقرره قانون ويزكيه أستاذ؟ اعذروا الشبان ولا تبكوا على ضياعهم فأنتم الذين أضعتموهم، ولا تلوموهم ولوموا أنفسكم. أهملتموهم فذوقوا وبال الإهمال. وأنزلتموهم إلى اللجة وقلتم لهم: إياكم أن تغرقوا! ثم استرعيتم عليهم الذئاب ومن استرعى الذئب ظلم"[3]

ويتحدث الإبراهيمي عن هذا الانبهار فيقول: "عمدوا إلى الشباب فرموه بهذه التهاويل من الحضارة الغربية، وبهذه التعاليم التي تأتي بنيانه الفكري والعقلي من القواعد، وتحرف المسلم عن قبلته، وتحول الشرقي إلى الغرب، وإن من خصائص هذه الحضارة أن فيها كل معاني السحر وأساليب الجذب. وحسبكم منها أنها تفرق بين المرء وأخيه، والمرء وولده، فأصبح أبناؤنا يهرعون إلى معاهد العلم الغربية عن طوع منا يشبه الكرهَ، أو عن كره يشبه الطوع، فيرجعون إلينا ومعهم العلم وأشياء أخرى ليس منها الإسلام ولا الشرقية، ومعهم أسماؤهم وليس معهم عقولهم ولا أفكارهم"[4]

---

[1]- الإبراهيمي محمد البشير، مرجع سابق، ج4، ص:121.

[2]- المرجع نفسه، ص:78.

[3]- المرجع نفسه، ص:222.

[4]- المرجع نفسه، ج2، ص:470.

المبحث الرابع: المواقف السياسية للشيخ الإبراهيمي

يعد محمد البشير الإبراهيمي في حقل العمل السياسي من كبار علماء الدين المجاهدين لقضية وطنه ويتضح ذلك من خلال مواقفه الرائدة من الثورة التحريرية، وصدق جهاده في سبيلها، وهي أصدق رد على كل من يحاول النيل من هذه الشخصية الوطنية، عندما أثيرت بعض الأقلام ذات النظرة الضيقة، إلى محاولة إنكار دوره ومشاركته الفعالة في الثورة التحريرية، وقد نجح في خلق جيل من الشباب الجزائري المؤمن بعروبته، ووطنيته، ودينه، وكان ذلك الجيل هو نواة جيش التحرير الوطني لذلك سنتطرق في هذا المبحث إلى بعض من مواقفه السياسية منها موقفه من الاستعمار، وكذا أحداث 8 ماي إضافة إلى موقفه من القضية الفلسطينية.

المطلب الأول: موقفه من الاستعمار

اتسمت المقالة السياسة عند الإبراهيمي بالجرأة و الشجاعة في الطرح، و لعل أول القضايا السياسية التي أثارها الإبراهيمي هي موقفه من الاستعمار، فالاستعمار في نظره مرض عضال يؤدي حتما إلى الموت، لذا وجب مجابهته و استئصاله من جذوره حيث يقول:" جاء الاستعمار الفرنسي إلى هذا الوطن كما تجيء الأمراض الوافدة تحمل الموت و أسباب الموت.. و الاستعمار سل يحارب أسباب المناعة في الجسم الصحيح"[1]

نلاحظ تلك الجرأة التي تطبع مقال الإبراهيمي، فهو يعمد إلى توعية الشعب الجزائري و تبصيره بحقيقة الخطر الداهم الذي يهدد كيانه في أسلوب مباشر صريح دون تلميح. ذلك لأن مبدأه في الإصلاح يقوم على الصراحة، و مجانبة التلميح و قد بلغت الجرأة بالإبراهيمي إلى حد اعتبار الاستعمار شيطان" يا هؤلاء إن الاستعمار شيطان !وإن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا، وإن الاستعمار شر، و محال أن يأتي الشر بالخير"[2]

كما وصفه بأنه" أفظع أنواع الاستعمار التي عرفها البشر في مراحل التاريخ، لأنه ظلم صريح الأثر وحشي الأسلوب حيواني الترعة متوقح الوجه، ولأنه لا يتصل بالنفوس بحبل أو بخيط من الإحسان إليها ينتهك حرمات الله وحرمات الإنسان على السواء، وهو يحمل للإسلام والعربية

[1]- البصائر، سل2، ع1، 1947، ص:1.

[2]- المرجع نفسه، ع121، 1950، ص:221.

حقدا دفينا يستره بأقواله، فتكفر به الأفعال القبيحة والمعاملات الشنيعة وانتهاكه لحرمات المساجد وابتلاعه لأوقاف المسلمين واحتكاره التصرف في الشعائر الدينية كالحج"[1]

وصفه كذلك بأنه:" الاستعمار كله رجس من عمل الشيطان ؛ يلتقي القائمون به على سجايا خبيثة، وغرائز شرهة، ونظرات عميقة إلى وسائل الافتراس وإخضاع الفرائس، و أهم تلك الوسائل قتل المعنويات وتخدير الإحساسات الروحية؛ ولكن هناك تفاوتاً بين استعمار واستعمار، فاستعمار يباشر وسائله بالحقد ويشربها معاني من الانتقام؛ وآخر يباشر بنوع من التسامح واللين؛ والاستعمار الفرنسي من النوع الأول"[2]

وأرجع البشير الإبراهيمي سبب التخلف والتراجع الفكري والمادي والروحي الذي يعاني منه الشعب الجزائري إلى الاستعمار الفرنسي وأعماله الشنيعة التي تهدف إلى سلخه من مقوماته الشخصية " فهو قد عمل في مئة سنة على محو آثار الإسلام من النفوس بقتل أخلاقه المتينة وعقائده الصحيحة، وعلى محو عزة العروبة من النفوس، ومحو بيانها من الألسنة والقرائح، وقد كاد ينجح، ولو نجح لتم له ما يريد بعد مئة سنة أخرى من فرنسة الجزائر وجعلها مسيحية الدين لاتينية الجنسية"[3]

وبهذا، يكون الإبراهيمي قد صنف الاستعمار الفرنسي الاستيطاني ضمن النوع الأول الذي يتميز بالشدة والحقد واللصوصية التي ما قوت إلا لضعف الفريسة وغفلتها.

المطلب الثاني: أحداث 8 ماي

استمرت فرنسا في سياستها الهمجية ضد الشعب الجزائري، معتمدة على الخداع والوعود الكاذبة، ولعل أحداث 8 ماي أكبر دليل على ذلك، والتي تعد وصمة عار على جبينها. يصور لنا الإبراهيمي هذه الأحداث بقوله:" يوم مظلم الجوانب بالظلم، مطرز الحواشي بالدماء المظلومة مقشعر الأرض من بطش الأقوياء، مبتهج السماء بأرواح الشهداء، خلعت شمسه طبيعتها فلا حياة و لا نور، و خرج شهره عن طاعة الربيع فلا ثمر ولا نور، و غبنت حقيقته عند الأقلام فلا تصوير و لا تدوين"[4]

---

[1]- الإبراهيمي محمد البشير، مرجع سابق ،ج4، ص:87.

[2]- المرجع نفسه ،ج3 (عيون البصائر)، ص:105.

[3]- المرجع نفسه ،ج4 ، ص:88.

[4]- البصائر، سل2، ع35، 1948، ص: 1.

إن هذه الصور القاتمة تبرز لنا حالة الشعب يومئذ، و ما عاناه من بطش و تقتيل و تنكيل جعل الأرض و السماء تهتزان لأحزانه ثم إنها تعكس من ناحية ثانية الحالة النفسية للكاتب، و هو يتفجر غضبا و يستشيط حنقا من تلك الأهوال التي تجرعها الشعب الجزائري، و لا ذنب له سوى أنه شارك المحتل حربه على أمل أن يفي هذا الأخير بوعوده، لكنه و على عادته "عاد للتقتيل على من كانوا بالأمس يمدون حياته بحياتهم ليريهم مبلغ الصدق في تلك الوعود، و يحدثهم بلغة الدم و منطق الأشلاء أنه إنما أقام سوق الحرب ليشتري حياته بموتهم و ليرمم جداره بهدم ديارهم"[1]

انتهت الحرب العالمية و انتهت معها آمال الجزائريين حين أضرم المحتل النار و أعلنها حربا ضروسا على من ساندوه بالأمس "و في لحظة واحدة تسامع العالم بأن الحرب انتهت مساء أمس ببرلين، و ابتدأت صباح اليوم بالجزائر، و فيما بين خطرة البرق بين الغرب و الشرق أعلنت الحرب من طرف واحد، و انجلت في بضعة أيام عن ألوف من القتلى العزل الضعفاء، و إحراق قرى و تدمير مساكن و استباحة حرمات ونهب أموال، و ما تبع ذلك من تغريم و سجن و اعتقال، ذلكم هو يوم 8 ماي"[2]

المطلب الثالث: القضية الفلسطينية

شغلت القضية الفلسطينية فكر الإبراهيمي، ومثلت في كتاباته حملا ثقيلا، وكونت عنده العصب الحساس في بعده السياسي، ولم يغب فكره عن فلسطين لحظة واحدة منذ أن أصيبت وأصيب هو معها بجرح لم يندمل

"يا فلسطين! إنه في قلب كل مسلم جزائري من قضيتك جروحاً دامية، وفي جفن كل مسلم جزائري من محنتك عبرات هامية، وعلى لسان كل مسلم جزائري في حقك كلمة مترددة: فلسطين قطعة من وطني الإسلامي الكبير قبل أن تكون من وطني العربي الصغير. في عنق كل مسلم لك – يا فلسطين – حق واجب الأداء وذمام متأكد الرعاية"[3]

ومن خلال استقراء كتابات الشيخ حول هذه القضية، والتي تعددت وتنوعت منها (هل لمن أضاع فلسطين عيد؟، تصوير الفاجعة، وصف قرار تقسيمها، العرب واليهود في الميزان عند الأقوياء، ماذا نريد لها وماذا يريدون، عيد الأضحى وفلسطين، واجباتها على العرب...) يتخذ موقفاً أخيراً –

[1]- الإبراهيمي محمد البشير، مرجع سابق ، ج3 (عيون البصائر)، ص:369.

[2]- البصائر، سل2، ع35، 1948، ص: 1.

[3]- الإبراهيمي محمد البشير، مرجع سابق ، ج3 (عيون البصائر)، ص:435.

لتحرير فلسطين – بعدما تفهم برؤية عميقة أن اغتصاب فلسطين وحريتها كان بالقوة، ومحال أن يسترجعها إلا بـــهذه بالقوة، فهو يرى أن اغتصاب فلسطين وصمة عار في جبين الإنسان العربي والمسلم، وذنب لا يغتفر، ومهزلة تاريخية وخيمة إذا لم يعلنها العرب حرباً لا هوادة فيها وجهادا في سبيل الله لفتح جديد لفلسطين[1] .

كل هذه المعاني جعلت الإبراهيمي ينذر نفسه لفلسطين التي أوجدت في فكره مناخا حالكا يقطع عليه حبال تفكيره، فلم يجد بدلا من أن يصرخ بأعلى صوته:

"أيها العرب! أيها المسلمون! إن فلسطين وديعة محمد عندنا، وأمانة عمر في ذمتنا، وعهد الإسلام في أعناقنا، فإن أخذها اليهود منا ونحن عصبة، إنا إذن لخاسرون"[2]

فالإبراهيمي بـــهذه الصرخة ينقل القضية إلى قضية معركة قائمة تحتمت أن تكون قدرا من أقدار هذه الأمة العربية الإسلامية تمتحن فيها أصالتها وجدارتـــها بالحياة.

وكان قد حمل العرب مسؤولية ضياع فلسطين الذي نتج عنه شرف ومجد العرب، عز وميراث الإسلام، ورماهم بالتخاذل والخيانة والغفلة والانصياع لما يمليه عليهم الغرب حيث قال موجهاً خطابه اللاذع اللهجة إلى العرب:" ألستم أنتم الذين أضعتم فلسطين، بجهلكم وتجاهلكم مرة، وخذلكم وتخاذلكم ثانية، واغتراركم وتغافلكم ثالثة، وبقبولكم للهدنة رابعة، وباختلاف ساستكم وقادتكم خامسة، وبعدم الاستعداد سادسة، وبخيانة بعضكم سابعة، وبما عدوكم أعلم به منهم ثامنة؟ ويل للعرب من شر حل ولا أقول قد اقترب"[3]

كما شدد على العرب الخناق واللهجة وعابهم على تخاذلهم عن نصرتهم لأبناء الحجارة وذلك يوم عيد الأضحى من سنة 1948م " أيها العرب : حرام أن تنعموا وإخوانكم بؤساء، وحرام أن تطعموا وإخوانكم جياع، وحرام أن تطمئن بكم المضاجع وإخوانكم يفترشون الغبراء .أيها المسلمون افهموا ما في هذا العيد من رموز الفداء والتضحية والمعاناة، لا ما فيه من معاني الزينة والدعة والمطاعم، ذاك حق الله على الروح، وهذا حق الجسد عليكم"[4]

---

[1]- شوشان محمد، ***البعد السياسي والاجتماعي في فكر الشيخ الإبراهيمي***، منشورة في شبكة الانترنت على الموقع التالي: http://binbadis.net ، تمت الزيارة يوم 2017/04/22 على الساعة 22:00.

[2]- الإبراهيمي محمد البشير، مرجع سابق ،ج3 (عيون البصائر) ، ص:445.

[3]- المرجع نفسه،ج4، ص:218.

[4]- المرجع نفسه، ج3 (عيون البصائر)، ص:526.

ولعل أهم شيء استطاع الإبراهيمي أن يهبه لفلسطين الجريحة مكتبته المتواضعة قائلا "ولكني أملك من هذه الدنيا مكتبة متواضعة هي كل ما يرثه الوارث عني، وإنني أضعها خالصا مخلصا، بكتبها وخزائنها تحت تصرف اللجنة التي تشكل لإمداد فلسطين، ولا أستثني منها إلا نسخة من المصحف للتلاوة، ونسخة من كل من الصحيحين للدراسة"[1].

[1]- الإبراهيمي محمد البشير، مرجع سابق ، ج3 (عيون البصائر)، ص:523.

الخـــــاتمـــــة

يعد الإبراهيمي أحد أبرز الشخصيات الذين شغلهم هم الإسلام، فحملوا لواء الدعوة والإصلاح في الحركة الإسلامية الحديثة، وجدَوا واجتهدوا في حملها على مستوى الفكر والتنظير، وعلى مستوى الممارسة والتطبيق، وذلك طوال مسيرة حياته.

تناولنا في هذا البحث بيان منهج الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في الدعوة إلى الله من خلال مقالاته في جريدة البصائر توصلنا من خلاله إلى النتائج التالية:

1- الإصلاح وإن كانت له جذور ضاربة في أعماق التاريخ، وجد في الحركة الإصلاحية المناخ الذي يغذيه ويعينه على الانتشار في الأوساط الاجتماعية، لا سيما بعد ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التي مكنت للمنهج الإصلاحي الانتشار عبر مختلف أقطار البلاد.

2- لعبت الصحافة الإصلاحية دورا كبيرا في نشر الفضيلة ومحاربة الرذيلة، وتبصير العقول وفضح السياسة الاستعمارية، وكذا مساندة القضايا العادلة الوطنية والعربية، وهي من أهم الأسلحة التي حاربت بها الحركة الإصلاحية خصومها، ونشرت بها أفكارها وتعاليمها.

3- يعتبر الشيخ الإبراهيمي من الرعيل الأول والجيل المؤسس والصانع للحركة الإصلاحية إذ احتضن العمل الدعوي ومارسه وأسهم في التأسيس له.

4- أن الشيخ الإبراهيمي يعتبر نموذجا للداعية المتعدد المواهب، له كفاءة عالية في عدة مجالات فقد عرفنا من خلال حياته ومراحلها كيف كان رساليا يتمتع بحس حضاري عال، في الحقب التي مرت بها الجزائر، كما عرفناه شابا مثقفا، معلما ومربيا متميزا، كما عرفناه أيضا كاتبا وصحفيا سخر قلمه وجهده يدافع عن قضايا وطنه وأمته.

5- يمثل الشيخ الإبراهيمي بإنتاجه الفكري والثقافي المتنوع والشامل، وبعمله الدعوي المنظم والمستمر وبجهوده الإصلاحية في مختلف الميادين مدرسة كاملة، وتجربة غنية وفذة.

6- أن معالم الفكر التربوي عند الإبراهيمي تمتاز بالنظرة الثاقبة والشمولية، إذ يعتبر فكره نموذجا تربويا مميزا، إذ لم يكن الشيخ مصلحا ومرشدا فحسب بل كان مفكرا ومنظرا في مجال التربية والتعليم حيث سعى إلى وضع خطة تربوية متدرجة، محسوبة ومستوفية العناصر شملت المعلم والمتعلم والمنهج أو الطريقة والمدرسة.

7- تتمثل فلسفة الإصلاح عند الإبراهيمي في محورين كبيرين هما الإصلاح الديني وذلك من خلال إرجاع المسلمين إلى كتاب ربهم وسنة نبيهم وربطهم بسلفهم الصالح، والإصلاح الاجتماعي وذلك

من خلال عرضه للمشاكل الاجتماعية التي تمس الحياة اليومية مسا مباشرا، وتشخيص العلاج لها. وهو يرى أنه هناك تلازم ضروري بينهما لتحقيق النهوض بالبلاد ثقافيا واجتماعيا.

8- تتميز مواقف الإبراهيمي السياسية بالجرأة والشجاعة والصراحة، خاصة فيما يخص موقفه من الاستعمار إذ أرسل قلمه شواظا من نار يكشف مخططاته وألاعيبه. كما شارك بقلمه في نقل أحداث الثورة ووصف مجازرها كأحداث 8 ماي، كما شغلت القضية الفلسطينية فكر الإبراهيمي، وأصيب معها بجرح لا يندمل.

ومن أهم ما توصي به هذه الدراسة ما يلي:

1- ضرورة الاستفادة من الفكر التربوي للشيخ الإبراهيمي في إقامة منهاج تربوي جديد.

2- أن يختار رجال التربية من كتابات الشيخ الإبراهيمي نصوصا تدرس في جميع مراحل التعليم من الابتدائي إلى الثانوي إلى العالي.

3- أن يوجه طلبة العلم إلى القيام برسائل متخصصة في كل ناحية من نواحي نبوغه العام.

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

قائمـــة المراجـــــع

أولا– الكتـــب:

1- الإبراهيمي محمد البشير، ***آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي***، جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي، ط**1** ، دار الغرب الإسلامي، لبنان ، ج**1**، **2**، **3**، **4**، **5**، **1997م.**

2- ابن باديس عبد الحميد، ***مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبر***، ط**1**، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، **1982**م.

3- ابن منظور، ***لسان العرب***، دار صادر، بيروت، المجلد الثاني.

4- الأنصاري فريد، ***أبجديات البحث في العلوم الشرعية***، ط**1**، دار الكلمة، مصر، **2002**م.

5- البيانوني محمد أبو الفتح، ***المدخل إلى علم الدعوة***، ط**4**، دار الرسالة العالمية، سوريا، **2010**م.

6- سعد الله أبو القاسم ، ***الحركة الوطنية الجزائرية 1930 - 1945***، ط**4**، دار الغرب الإسلامي بيروت، مج**3**، **1992** م.

7- سعد الله أبو القاسم، ***تاريخ الجزائر الثقافي، 1830- 1954***، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج **4**، **1998م.**

8- الطالبي عمار، ***آثار ابن باديس***، الشركة الجزائرية، الجزائر، المجلد الأول.

9- عباس محمد، ***الإبراهيمي أديبا***، ديوان المطبوعات الجامعية، المطبعة الجهوية، وهران الجزائر،**1984**م.

10- الكمالي عبد الله، ***كتابة البحث وتحقيق المخطوطة خطوة..خطوة***، ط**1**، دار ابن جزم، بيروت، **2001**م.

11- مجمع اللغة العربية إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات وآخرون، ***المعجم الوسيط***، دار الدعوة القاهرة، المجلد الأول.

12- مراد علي ، ***الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر من 1940 إلى 1925 م***، ترجمة محمد يحياتن، دار الحكمة، الجزائر.

13- الميلي محمد، ***الشيخ مبارك الميلي حياته العلمية ونضاله الوطني***، ط**1**، دار الغرب الإسلامي، لبنان ، **2001**م.

14- ناصر محمد ، ***أبو اليقظان وجهاد الكلمة***، ط**1**، فهرس محتويات الجرائد، الجزائر، **1997**م.

15- ناصر محمد ، ***الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1954***، ط**2**، ألفا ديزاين، قصر المعارض –الصنوبر البحري– الجزائر، **2006**م.

16- ناصر محمد، ***المقالة الصحفية الجزائرية نشأتها، تطورها، أعلامها من 1903إلى 1931***، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائـــر، المجلد الأول، **1978**م.

17- نجم محمد يوسف، ***فن المقالة***، ط**1**، دار صادر، بيروت، **1996**م، ج**1**.

18- نويهض عادل، ***معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر***، ط**2**، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ج**1**.

ثانيا– الرســـائل العلميـــة:

1- بالولي أحلام، ***بلاغة اللغة في أدب المقال الإصلاحي عند محمد البشير الإبراهيمي– عيون البصائر نموذجا–***، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة البويرة، **2013- 2014م**.

2- جمَال غنية، ***جريدة البصائر ودورها الإصلاحي السلسلة الثانية1947- 1956*** ، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، **2003- 2004**م.

3- حاج أحمد نور الدين، ***المنهج الدعوي للإمام المغيلي من خلال الرسائل التي بعثها للملوك والأمراء والعلماء***، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة باتنة، **2010-2011**م .

4- زرمان محمد، ***الأسس النظرية لمنهج التغيير عند محمد البشير الإبراهيمي***، رسالة دكتوراه، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة **1994 - 1995**.

5- شريف عبد الغفور، ***موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من الثورة التحريرية من خلال جريدة البصائر1954-1956م***، رسالة ماجستير، علوم الإعلام والاتصال، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر**3**، **2010-2011م**.

6- شفري شهرة، ***الخطاب الدعوي عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين دراسة مقارنة بين عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي***، رسالة ماجستير،كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة،**2009**م.

7- صديقي بوبكر، ***البعد المقاصدي في فتاوى أعلام جمعية العلماء المسلمين – دراسة من خلال جريدة البصائر 1935-1956–***، مذكرة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، **2011**م.

8- عمارة حياة، ***أدب الصحافة الإصلاحية الجزائرية من عهد التأسيس إلى عـــهد التعددية***، رسالة دكتوراه،كلية الآداب واللغات، جامـــعة تلمسان، **2014**م.

ثالثا– المجـــلات والملتقيـــات:

1- الإبراهيمي محمد البشير، ***أنـــا***، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة والسياحة ، الجزائر، السنة الخامسة عشرة، العدد**87**، شعبان –رمضان **1405** هـــ ، ماي – جويلية **1985** م .

2- بوخنوف شهيرة، ***البعد التعليمي في كتاب عيون البصائر***، ورقة مقدمة لملتقى إحياء تراث العلامة محمد البشير الإبراهيمي، جامعة مولود معمري، تيزي وزو.

3- تركي رابح ، ***التعريف بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين***، مجلة بونة للدراسات، عنابة ، العدد **2**، نوفمبر **2004** .

4- الشهاب، المجلد **7**،**11**، السنة السابعة (فيفري **1931**)، ط**1**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، **2001**.

5- عيساوي أحمد، ***الفكر الإصلاحي عند الشيخ العربي التبسي***، أشغـــال الملتقى الوطني الرابـــع للفكر الإصلاحي في الجـــزائر، ج**1**، الجمعية الثقافية العربي التبسي.

6- القرضاوي يوسف، ***مقومات الفكر الإصلاحي عند الإمام محمد البشير الإبراهيمي***، مداخلة في الملتقى الدولي للإمام محمد البشير الإبراهيمي بمناسبة الذكرى الأربعين لوفاته، دار الغرب الإسلامي**2005م.**

7- ولهة حسين، ***نحو فهم أعمق للأسس التعليمية عند البشير الإبراهيمي***، ورقة مقدمة لملتقى إحياء تراث العلامة محمد البشير الإبراهيمي، جامعة مولود معمري، تيزي وزو.

رابعا– الجـــــرائـــــد:

1- البصائر، سل**2** ،عدد**2** ، **66** هـــ،**1947** م.

2- البصائر، سل**1** العدد **83** ، بتاريخ **30** سبتمبر **1937** .

3- البصائر، سل**1**، العدد الأول، **27** ديسمبر**1935**.

4- البصائر، سل**2**، العدد **3** ، بتاريخ **22** أوت **1947** .

5- البصائر، سل**2**، ع**1**، .**1947**

6- البصائر، سل**2**، ع**121**، .**1950**

7- البصائر، سل**2**، ع**35**، .**1948**

8- البصائر، سل**2**، ع**35**، .**1948**

9- جريدة السنة النبوية، السنة الأولى، العدد الأول، ذي الحجة **1351**هـــ .

10- جريدة الصراط السوي، العدد الأول، سبتمبر .**1933**

11- جريدة المغرب، العدد الأول، **26** ماي **1930** .

12- جريدة وادي ميزاب، العدد الأول، **01** أكتوبر **1926**.

13- القانون الأساسي لجمعية العلماء، المطبعة الجزائرية الإسلامية ، قسنطينة ، الجزائر ، د- ت.

خامسا- المواقع الالكترونية:

تمت الزيارة يوم 2017/04/22 على الساعة 21:30. http:// taseel.com/articles/4978

تمت الزيارة يوم 2017/04/22 على الساعة 22:00 http://binbadis.net

تمت الزيارة يوم 2017/05/1 على الساعة 14:00 http://www.almeshkat.net

تمت الزيارة يوم 2017/3/4 على الساعة16:00 http://www.ibrahimi.net

تمت الزيارة يوم 2017/04/10 على الساعة 17:00. http://www.rayatalislah.com